العتبة العلوية المقدسة

سلسلة في رحاب نهج البلاغة (١٧)

الثقافة القيادية والإدارية

عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

الشيخ محمد مهدي الآصفي

العتبة العلوية المقدسة

سلسلة في رحاب نهج البلاغة ـ ١٧

الثقافة القيادية والإدارية

عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

الشيخ محمد مهدي الآصفي

الثقافة القيادية والإدارية عند أمير المؤمنين عليه السلام

■ الناشر: العتبة العلوية المقدسة

■ تأليف: الشيخ محمد مهدي الآصفي

■ إخراج فني: نصير شكر

■ عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة

■ السنة: ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م

العتبة العلوية المقدسة، العراق . النجف الأشرف

هاتف: ٠٧٨٠٢٣٣٧٢٧٧ (٠٠٩٦٤)

لإبداء ملاحظاتكم يرجى مراسلتنا على البريد الالكتروني :

info@haydarya.com

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾

آل عمران/ ١٥٩

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي القارئ الكريم رسالة موجزة في الثقافة القيادية والادارية من خلال كلمات ومشاريع واعمال ورسائل الإمام ابي الحسن أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام.

وهي منظمة على ثلاثة فصول:

الفصل الاول: في التعليمات الادارية والقيادية الصادرة عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى عماله وولاته في البلاد.

الفصل الثاني: في المشاريع والاعمال الادارية التي أسسها أمير المؤمنين عليه السلام في الفترة التي رجع اليه الناس في أمر الإمرة والولاية.

الفصل الثالث: في المفردات والعناوين الادارية والقيادية، وهي مجموعة مفردات اقتبسناها من كلمات أمير المؤمنين عليه السلام فيما جمعه من كلماته وخطبه ورسائله الشريف الرضي رحمه الله في نهج البلاغة والآمدي رحمه الله في (غرر الحكم) وكنا قد استعرضنا سابقاً هذا الحقل الثقافي في الادارة والقيادة، من خلال القرآن والسنة وها نحن نختار منها ما يتعلق

بكلمات ورسائل ومشاريع واعمال الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام .

محمد مهدي الآصفي

النجف الأشرف ٧ / رج / ١٤

الفصل الاول

التعليمات والتوصيات الإدارية والقيادية الصادرة من أميرالمؤمنين عليه السلام إلى عماله وولاته في البلاد

الثقافة الإدارية والقيادية

فيما يلي نستعرض إن شاءالله طائفة من رسائل أميرالمؤمنين عليه السلام إلى عماله وولاته في البلاد:

وقد انتقينا منها رسالتين:

١- رسالة أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر رضي الله عنه لما ولّاه مصر.

٢- رسالة أميرالمؤمنين عليه السلام إلى أهل مصر لما ولّى عليهم مالك الاشتر رضي الله عنه، وفيها يوصيه الإمام عليه السلام بالتعامل مع الناس بالرفق والعدل والحزم والحسم والاحسان، وهذه الرسالة من كنوز الثقافة القيادية والإدارية في التراث الإسلامي.

١- كتاب أميرالمؤمنين عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر رحمه الله عندما ولاّه مصر:

١- يقول عليه السلام في كتابه إلى محمد بن أبي بكر رحمه الله، عندما ولاّه مصر: «فاخفض لهم جناحك، وألِن لهم جانبك، وابسط لهم وجهك، وآس بينهم في اللحظة والنظرة حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم ولا ييأس الضعفاء من عدلك بهم، فإن الله تعالى يسألكم معشر عباده عن الصغيرة من أعمالكم والكبيرة، والظاهرة والمستورة، فان يعذب فانتم أظلم، وإن يعف فهو أكرم».

هذه الكلمات مواعظ أخلاقية رفيعة، وفي نفس الوقت تبين الأصول العامة للثقافة الإدارية للمجتمع والحياة العامة.

يأمر الإمام عليه السلام هنا محمداً رحمه الله أن يلين جانبه للناس، ويبسط لهم وجهه، فلايجد الناس فيه استعلاء المستكبرين وانقباض وجه المتغطرسين.

ينبغي للحاكم أن يبسط سلطانه على القلوب، حتى تخفق له حباً وودّاً، من خلال اللين في الكلام، والابتسامة التي تشيع السرور في النفوس التي تنتظر منه بسط الوجه والرضى والمحبة الدائمة.

«وآس بينهم في اللحظة والنظرة».

ثم ينتقل الإمام إلى المساواة في النظر بين الأشخاص، فيقول: إذا تحدثت إلى رعيتك فليكن نظرك موزعاً بينهم بالسوية. فلا تجعله موجهاً

إلى فئة معينة أو شخص واحد، ولا تحابي بعض الناس في نظراتك دون بعض.

وقد يسأل أحد: ما قيمة النظرة حتى يؤكد عليها الإمام ويأمرنا بالمساواة فيها.

يقول الإمام عليه السلام: «حتى لا يطمع العظماء في حيفك، ولا ييأس الضعفاء من عدلك بهم».

فإذا ساوى بنظره بين الناس اشعر الناس انه يساوي في اهتمامه ورعايته للناس، فلا يطمع فيه أصحاب المطامع.

وفي الجانب الآخر لا ييأس الضعفاء من عدله، بل يبقى الأمل في نفوسهم أن يشملهم باهتمامه، ويحوطهم برعايته، فيذكرهم إذا غابوا ويتفقد أحوالهم ويعينهم على بلوى الفقر ومتاعب الحياة.

٢- ثم يقول عليه السلام: «ولا تسخط الله برضى أحد من خلقه، فأن في الله خلفاً من غيره، وليس من الله خلف في غيره».

يأمر الإمام والي مصر أن يتخذ من الله ولياً وناصراً عوضاً عما في أيدي الأقوياء والمستأثرين الذين يرون بأنهم إذا تخلوا عن الحاكم وغابوا عن مجلسه فسوف يضعف. ثم يقول له لا تسخط الله برضى الأغنياء والأقوياء، فان قوتهم إلى زوال، وارتبط بالقوة الإلهية المطلقة المهيمنة على الكون من أوله إلى آخره.

ثم يقول له: «فإن في الله خلفاً من غيره، وليس من الله خلف في غيره».

تذكرنا هذه الكلمة بدعاء الإمام الحسين عليه السلام «ماذا وجد من فقدك وما الذي فقد من وجدك»؟

إذا انفضّ الأغنياء من حول الحاكم، فان الله عز وجل يخلفه بقوته وتوفيقه، وتسديده، ولكن ليس لله بديل ولا عوض، إذا أعرض عن عبده وأوكله إلى نفسه. إذا هجرته الرحمة الإلهية، وتخلى الله عنه وأوكله إلى قوته وحاشيته وحراسه، فإنه لا بديل لقوته المطلقة.

فإذا التفت الحاكم إلى هذه المعاني فلا يستوحش لتفرق الناس عنه.

٣- ثم يقول عليه السلام لحاكم مصر: «صلِّ الصلاة لوقتها الموقّت لها، ولا تعجِّل وقتها لفراغ، ولا تؤخرها عن وقتها لاشتغال، واعلم إنّ كل شيء من عملك تبع لصلاتك».

لا ينبغي للحاكم أن يؤخر صلاته عن وقتها بسبب انشغاله بمهام الادارة والحكم مهما بلغت في خطورتها الاجتماعية[1].

إنه التنظيم الدقيق لوقت الحاكم بين الإدارة وبين الالتفات إلى ذاته وعبادته وعلاقته بالله حتى لا تستغرقه مسؤولياته الاجتماعية، فيهمل أمر الصلاة، فهو يستمد من عبادته القوة في إدارته وعمله، وهي

---

(١) رحم الله الشهيد الرجائي، رئيس الجمهورية الإسلامية، كان يقول إذا حلّ وقت الصلاة لا تقل للصلاة لدي عمل يشغلني عنك، ولكن قل للعمل هذا وقت الصلاة.

تجدد طاقاته النفسية، وتعيد السكينة إلى نفسه، فإن هموم العمل تفقد الإنسان التوازن والاتزان والحزم والحسم في القرار.

فيحتاج إلى محطة عبادية وخلوة مع الله بعيداً عن ضجيج الناس يجدد فيها الاتصال بالله.

وبذلك يستعيد قواه ونشاطه وحيويته «فإن كل شيء تبع لصلاتك».

وفي دعاء كميل: «حتى تكون أعمالي وأورادي كلها ورداً واحداً».

وما أجمل أن تكون حياة القادة إمتداداً للصلاة، وتعبيراً للعبودية لله تعالى، وتطبيقاً لمفاهيم الاستعانة والتوكل والثقة بالله.

٢- كتاب أميرالمؤمنين عليه السلام إلى أهل مصر عندماولّى عليهم مالك الأشتر رحمه الله.

وهذا دستور آخر للثقافة الإدارية يتحفنا به أميرالمؤمنين عليه السلام وهو عهده إلى مالك الاشتر، حينما ولاّه مصر.

يقول الإمام علي عليه السلام :«هذا ما أمر به عبد الله علي أميرالمؤمنين عليه السلام مالك بن الحارث الأشتر في عهده إليه حين ولاه مصر: جباية خراجها، وجهاد عدوها، واستصلاح أهلها، وعمارة بلادها».

يحدّد الإمام علي بن أبي طالب أميرالمؤمنين عليه السلام في عهده إلى

مالك الأشتر مسؤوليات الحكومة في ثلاث نقاط:

١ - الأمن.

٢ - المصالح العامة (الخدمات).

٣- الإعمار.

والمسؤولية الأولى هي الأمن، من أعداء الداخل والخارج، وما لم يتوفر للأمة الأمن لا يستطيع الحاكم ان يقدم للناس الخدمات الأخرى.

ثم الخدمات والمصالح الاقتصادية والصحية والتعليمية والمعاشية، وما يشبه ذلك.

ثم الخدمات العمرانية، والبلدية، والطرق، والري، والمنشآت الصناعية، واستصلاح الأراضي، والاتصالات وغير ذلك.

وهذه المهام الثلاثة تحتاج إلى جباية الأموال التي تقوّم هذه المشاريع الثلاثة.

والإمام عليه السلام يشرح هذه النقطة في هذه الفقرة من عهده إلى مالك الأشتر رضي الله عنه بقوله: «جباية خراجها، وجهاد عدوها، واستصلاح أهلها، وعمارة بلادها».

نظام العلاقات الثلاثة في ولاية الحاكم:

ثم يبين الإمام عليه السلام لمالك الأشتر رضي الله عنه نظام العلاقات الثلاثة في حياة الحاكم، وهي:

١ - العلاقة بالله تعالى.

٢ - العلاقة بالناس.

٣ - العلاقة بالنفس.

ويشرح الإمام هذه العلاقات الثلاثة واحدة بعد أخرى.

١ - في العلاقة بالله:

يحدد الإمام العلاقة بالله تعالى بالطاعة لله، وتقوى الله، واتباع أوامر الله تعالى ونواهيه، وأن ينصر دين الله حتى ينصره الله، فيأمر بتقوى الله.

يقول عليه السلام في عهده: «أَمَرَهُ بتقوى الله، وإيثار طاعته، وإتباع ما أمر به في كتابه من فرائضه وسننه التي لا يُسعد أحد إلاّ باتباعها، ولا يشقى إلاّ مع جحودها وإضاعتها، وأن ينصر الله سبحانه بقلبه ويده ولسانه، فإنه جلّ اسمه قد تكفل بنصر من ينصره وإعزاز من أعزه».

ثم يقول له: «وإياك ومساماة الله في عظمته والتشبه به في جبروته، فإن الله يذلّ كلّ جبار، ويهين كل مختال».

٢ - في العلاقة بنفسه:

وهذه العلاقة تمكّن الإنسان من العلاقة الأولى والعلاقة الثالثة، ولا تستقيم هذه ولا تلك إلاّ إذا تمكّن الإنسان من العلاقة بنفسه.

ويعطي الامام، في عهده لمالك لهذه العلاقة قدراً كبيراً من الأهمية

فيأمره أن يملك هواه، ولا يأذن لهواه أن يملكه.

وليس بين هذا الملك وذلك أمر ثالث، فإذا ملك الإنسان هواه لم يملكه هواه، واذا ملكه هواه لا يملك هواه، ولا ثالث بينهما.

يقول عليه السلام: «فاملك هواك».

ثم يأمره عليه السلام أن يشحّ بنفسه عما لا يحلّ له، ويكون ضنيناً بنفسه، ولا يعطي نفسه للفتن بلا حساب ولا حدود... فإن قيمة العاقل بقدر ما يشح بنفسه من الفتن، وما يعطي منها لله.

ومن إنصاف الإنسان لنفسه أن يشح بها في الفتن، ومن سوء الإنصاف ان يبذّر الإنسان بنفسه فيها. فليس شيء أعزّ على الإنسان من نفسه - إلاّ الله ورسوله - فلابد أن يكون شحيحاً بها.

يقول عليه السلام: «وشحْ بنفسك عمّا لا يحلّ لك، فإن الشح بالنفس الإنصاف منها فيما أحبّت أو كرهت».

ثم يأمره عليه السلام أن يكف جمحات نفسه وثورة أهوائه وشهواته...

يقول عليه السلام: «وقد أَمَرَهُ أَن يكسر نفسه من الشهوات، ويزعها عند الجمحات، فإن النفس أمّارة بالسوء، إلاّ ما رحم الله».

يكفّها عند جمحات النفس وثوراتها، والنفس البشرية جموحة ثائرة، هائجة، فإذا لم يكسر صاحبها جموحها، ولم يتمكن من هياجها ويسيطر عليها تملكه، وتقوده إلى الهلاك، وما لم يتمكن الإنسان من أهوائه وشهواته لا يصحّ ان يتولى أمراً من أمور المسلمين.

فمن لا يملك أمر نفسه لا يصلح أن يملك من أمور المسلمين شيئاً... وهذا هو معنى العدالة في الولاية.

٣- العلاقة بالناس:

يطول كلام الإمام عليه السلام في عهده إلى مالك رحمه الله في العلاقة مع الناس، وهو القسم الثالث من العلاقات الثلاثة. ويعطي هذا الشطر مساحة واسعة من عهده إلى مالك.

ولا يسعنا أن نتحدث في هذا الشطر من كلام الإمام بالتفصيل في هذه الخلاصة، رغم أن هذا الشطر من كلام الإمام عليه السلام في تعامل الحاكم مع الرعية هو موضوع هذه الرسالة.

التعريف بالناس:

وأول شيء يلفت نظرنا في كلام الإمام عليه السلام في التعريف بالناس هو قوله عليه السلام: «ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإن الناس صنفان: أما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق».

وهو أجمل تعريف للجمهور الذي يتعامل معه الحاكم وارحبه... إن هؤلاء الناس لا يخلو أمرهم من (الاخوة في الدين أو المناظرة في الخلق) وكلاهما يقتضي من الحاكم الرأفة والرحمة... ولا يصحّ أن يقسو الإنسان على أخ له في الدين، تربطه به وشيجة الأخوة في دين الله ورابطة الولاء، ولا يصحّ أن يقسو الإنسان على نظير له في الخلق، يحب ما يحب ويكره ما يكره، ما لم يصدر منه ذنب يستحق منه هذه القسوة...

فكما لا يحب الحاكم أن يقسو عليه أحد، ويحب لنفسه التكريم والرحمة، كذلك نظراؤه في الخلق.

طبائع الناس:

ثم يبين الإمام عليه السلام طبائع الناس فإن الزلل والزلات شيء مغروس في طبائع الناس، ما لم يهذّب الإنسان نفسه، ويمتلك أزمّتها بشكل كامل... وهو أمر نادر في حياة الناس.

اذن لا يصح أن يتخذ الحاكم أمر الزلل والزلات في حياة الناس حجّة لاضطهادهم وعقوبتهم والتشديد عليهم... والزلل والزلات غير الإصرار على الإثم والذنب وارتكاب الجرائم والموبقات... وما يجوز ويجب في الجرائم والموبقات لا يجوز في الزلات والزلل. فلنستمع إليه عليه السلام وهو يصف طبائع الناس الذين يتعامل معهم الحكام.

يقول عليه السلام في كلامه السابق: «فإنهم (الناس) صنفان: أما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق، يفرط منهم الزلل، وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ».

هؤلاء هم الناس تصدر منهم الأخطاء والزلات، في العمد والخطأ، وتسبق منهم الزلل من غير قصد وتعرض لهم العلل التي تسوقهم إلى الانفعال والغضب والزلات والأخطاء... فيجب أن يتعامل معهم الحاكم بالرفق والعفو دون العنف، من دون ضعف، وفي غير الجرائم التي لابد للحاكم فيها من التشديد والتعنيف.

التعامل من موقع الرحمة:

والتعريف المتقدم للناس، والايضاح المتقدم لطبائع الناس، يتطلب الرحمة بالناس والعطف والتحنن عليهم.

يقول عليه السلام في عهده لمالك: «واشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً».

والقائد الذي يمنح رعيته الحب والعاطفة يكسب بالمقابل حبهم وثقتهم وعاطفتهم.

رحم الله الإمام الخميني أحب الناس وأحبه الناس، وبادلوه الحب بالحب، وهو مثال نادر جداً في الزعماء السياسيين في عصرنا.

التعامل من موقع العفو والصفح:

ثم يأمره عليه السلام أن يتعامل مع الناس بالعفو والصفح، فلا يتشدد في محاسبتهم، ويعاملهم بالتسامح.

يقول عليه السلام: «فاعطهم من عفوك مثل الذي تحب وترضى ان يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنك فوقهم، ووليّ الأمر عليك فوقك والله فوق من ولاّك».

فهم يحبون عفوك وصفحك، كما تحب العفو والصفح من الله، فإذا أعطيتهم من عفوك وصفحك ما يحبون أعطاك الله من عفوه وصفحه ما تحب وترضى.

ثم يقول عليه السلام: «ولا تندمنّ على عفو، ولا تبجحنّ بعقوبة».

والتبجح بالعقوبة من صفات الجبارين والندم على العفو من وساوس الشيطان.

ثم يقول عليه السلام لمالك:

«ولا تُسرعن إلى بادرة وجدت منها مندوحة» وهو درس هام في طريقة تعامل الحاكم مع رعيته ساعات الانفعال والغضب. فإن الاستسلام للحظات الانفعال والغضب ضعف. فلا يسرع الحاكم إلى الحكم في لحظات الانفعال والغضب، (والبادرة: الغضب)، كلما وجد إلى ذلك سبيلاً ومندوحة، (والمندوحة: المتسع والسبيل إلى التخلص».

ظلم العباد من محاربة الله تعالى:

شر الظلم ان يظلم الإنسان نفسه أو يظلم عباد الله، وظلم العباد من ظلم النفس. فمن يظلم عباد الله يظلم نفسه أكثر مما يظلم الآخرين.

والذي يظلم عباد الله يدخل في دائرة محاربة الله تعالى، فإن ظلم العباد من محاربة الله. ومن ينصب نفسه لحرب الله يخسر الحرب لا محالة، فلا يقوى على محاربة الله أحد من خلقه.

يقول عليه السلام: «ولا تنصبن نفسك لحرب الله فإنه لا يد (لا قدرة) لك بنقمته، ولا غنى بك عن عفوه»، انك لا تقوى على غضب الله ونقمته. ولا تستغني عن عفوه ورحمته... إذاً فلا تعرض نفسك لغضبه ونقمته، ولا تبتعد عن منازل عفوه ورحمته، وإذا شئت ذلك فلا تظلم عباد الله، لئلا تتعرض لغضب الله ونقمته، وأحسن إلى الناس لتكون

عند عفوه ورحمته تعالى....

والله تعالى يخاصم من يظلم عباده:

والله تعالى يخاصم من يظلم عباده، وظلم العباد مخاصمة لله... ومن كان الله تعالى خصمه خاب وكان من الخاسرين.

يقول عليه السلام: «ومن ظَلَم عباد الله كان الله خصمه دون عباده، ومن خاصمه الله أدحض حجته، وكان لله حرباً حتى ينزع أو يتوب».

ولسنا نعرف كلاماً أبلغ وأقوى من هذا الكلام في استعظام ظلم العباد من ناحية الولاة والرعاة. والنص عجيب يستوقف الإنسان.

إن العباد خلفاء الله في أرضه، والله يدافع عن عباده وخلفائه ويحبّهم، ويخاصم من يظلمهم. وهذه هي المعادلة الأولى.

ومن خاصمه الله أدحض الله حجته، ولا يقوى أحد على محاجة الله في ظلمه لعباده. وهذه هي المعادلة الثانية.

وأعجب منهما وأبلغ المعادلة الثالثة.

«ومن ظَلَم عباد الله... كان لله حرباً حتى ينزع أو يتوب».

إن ظلم العباد بمعنى إعلان الحرب على الله... وناهيك بذلك.

النهي عن الاستعلاء على الناس:

وينهاه عليه السلام من أن يستعلي على الناس، ويستغل موقعه في الأمر والحكم في إذلال الناس وتطويعهم لأوامره ونواهيه، كما يفعل الجبابرة

من الحكام.

«ولا تقولن أني مُؤمّر (أي مسلط وحاكم عليكم) آمُرُ فَأُطاع».

إن الطاعة لابد منها في نظام المجتمع. ومن دون الطاعة لا ينتظم المجتمع... ولكن لا يلجأ الحاكم إلى توظيف موقعه، في تطويعهم لأحكامه إلاّ في حالات الضرورة... وفي غير ذلك يحفظ الحاكم نظام المجتمع بالتثقيف والتوجيه والنصيحة بالرفق والاحسان، وليس فقط بالالزام والتشديد والعنف، كما يفعل الجبابرة.

فإن أسلوب العنف والتشديد في التعامل مع الناس من قبل الحاكم يؤدي إلى إفساد قلوب الحكام أولاً، فإن القلوب تفسد بالتشديد والتعنيف والاستعلاء على الناس، والى إضعاف الدين في حياة الناس، فإن الحالة السوية في الدين، أن يحكم الحاكم الناس من غير إكراه وتعنيف، وإذا اضطر الحاكم إلى الإكراه والتعنيف كان ذلك بسبب عجزه في الإدارة والحكم، وليس لحاجة الدين إلى التشديد والعنف. فإن الله تعالى قد جعل الدين على منهج معتدل سمح من الفطرة لا يُخْوِجُ الحاكم إلى استعمال الشدة والعنف إلاّ في حالات استثنائية.

وإذا أكثر الحاكم من اضطهاد الناس والتشديد عليهم أدّى ذلك إلى إضعاف دور الدين وإنهاكه في المجتمع وفي نفوس الناس... وهذا هو الأثر الثاني في التشديد والعنف.

والأثر الثالث أن تراكم العنف والشدة والاضطهاد في الحكم

يؤدي إلى سقوط الحاكم والنظام، وثورة الناس على الحاكم ولابد أن ينفذ صبر الناس وتحملهم في وقت قريب، فيثور الناس على الحاكم، فلا يستطيع عندئذٍ أن يقاوم غضب الناس وسخطهم.

ولنستمع إلى الإمام عليه السلام في وصيته لمالك الأشتر رضي الله عنه: «ولا تسرعن إلى بادرة (حالات الغضب والانفعال) وجدت منها مندوحة (استطعت ان تتفاداها بالحلم والتغاضي وسعة الصدر)، ولا تقولن أني مُؤمّر (مسلط عليكم) آمر فأطاع (إني آمر وعليكم الطاعة)، فإن ذلك (التبجح بالسلطان والشدة في العمل) إدغال (إفساد) في القلب، ومنهكة للدين (ضعف للدين)، وتقرب من الغير(والغِيَرْ: تقلّب الأحداث السياسية بصورة مفاجئة، فإن هذا الإفساد والتبجّح سرعان ما يثير غضب الناس ويثيرهم، فلا يستطيع الحاكم أن يقاوم غضب الناس، فيسقط».

عندما تتعارض العلاقات الثلاثة:

هذه العلاقات الثلاثة حقوق... على عُهدة الحاكم أن يفي بها: حق الله تعالى عليه، وحق الناس، وحق نفسه عليه... وكل منها حق. ولابد أن يعطي لله تعالى حقه، وللناس حقوقهم، ولنفسه حقها.

ولابد أن يوازن بين هذه الحقوق والعلاقات، لئلاّ يجور ويتجاوز.

والتجاوز الذي يحصل عادة في هذه الحقوق الثلاثة يحصل عادة

من ناحية إيثار جانب النفس على حقوق الله وحقوق عباده.

وعندما نقول: «إيثار جانب النفس على حقوق الله وحقوق عباده» نقصد بالنفس معنى أوسع من (الأنا)، يشمل خاصة الإنسان وأهله، والقريبين إليه، ومن له فيه هوى، من بطانته والمتقربين إليه، وهؤلاء جميعاً امتداد للنفس و(الأنا) بشكل أو آخر، فيأخذ الحاكم جانبهم، ويؤثر جانبهم على جانب حقوق الله عليه وحقوق عباده... وهذا هو ابتلاء أغلب الحكام والولاة.

فيأمره الإمام عليه السلام أن ينصف الله تعالى وينصف الناس من نفسه. يعني يعطي لله تعالى حقه وللناس حقوقهم الذي جار عليهم لصالحه ولصالح من يميل إليه، وينصف الله، وينصف الناس من نفسه.

يقول عليه السلام في نفس العهد: «انصف الله، وانصف الناس من نفسك، ومن خاصة أهلك، ومن لك فيه هوى من رعيتك، فإنك إلاّ تفعل تظلم»... إنذار وتهويل.

وهذه الكلمة ذات وقع عجيب في نفس الإنسان (فإنك إلاّ تفعل تظلم).

والظلم هو التجاوز على حقوق الآخرين لصالح نفسه، ولصالح من له هوى فيه، ومن الظلم أن يتجاوز الإنسان على حقوق الله تعالى وحقوق عباده، وان لم ينصف الله من نفسه وينصف الناس من نفسه، فهو يدخل في عداد الظالمين، والظالمون في النار.

العامة والخاصة:

العامة والخاصة تعبير عن تقسيم طبقي في المجتمع، يقوم على أسس غير شرعية من الثراء والسلطان.

وأما إذا كان مصدر الثراء والسلطان شرعياً فلن يكون الاختلاف الطبقي داخلاً في هذا التقسيم، ولن يكون موضوع هذا البحث. غير ان الثراء المشروع والسلطان المشروع لن يؤدي في الغالب إلى الفواصل الطبقية الكبيرة إلاّ في حالات استثنائية ونادرة، وكلما وجدنا مجتمعاً طبقياً تبتعد طبقاتها بعضها عن بعض بفواصل كبيرة، كالذي نراه في المجتمعات الرأسمالية في الغرب، فلابد أن يكون هذا الاختلاف الطبقي الكبير حاصلاً من أوضاع غير شرعية في تحصيل المال أو السلطان.

ومهما يكن من أمر: فإن (العامّة) في هذا التقسيم، هي المساحة الاجتماعية العريضة المحرومة، والخاصة هي الطبقة الاجتماعية المحدودة المرفهة من حيث الثراء والقوية من حيث السلطان والقوة.

والطبقتان الاجتماعيتان (العامة والخاصة) في هذه المجتمعات (القائمة على الثراء والسلطة غير المشروعة) متقاطعتان، ونقصد بالتقاطع: انّ ثراء وسلطان الخاصة تتمّ على حساب العامّة، وتتمدد الخاصة في ثرائها وسلطانها على مساحة حقوق العامة في المال والسلطان.

ومعنى ذلك: أن الخاصة في مثل هذه المجتمعات تعتدي على حقوق العامة في المال والسلطان، وتستأثر بها دون العامة من غير حق، كما يحصل ذلك في المجتمعات الرأسمالية الغربية القائمة على العدوان الطبقي.

وهذا هو الذي يقصده أمير المؤمنين عليه السلام في كلمته المعروفة «ما جاع فقير إلاّ بما مُتّع به غني»[1].

وهذه المعادلة تصح من الطرفين: ما جاع فقير إلاّ بما مُتّع به غني، وما تمتع الاغنياء إلاّ بما جاع به الفقراء.

وذلك لأن هذا الثراء والسلطان قد حصل من مصادر غير مشروعة للمال والسلطان... وكل ثراء وسلطان غير مشروع يتم لا محالة بالعدوان على حقوق العامّة في المال والسلطان.

ويقول عليه السلام - أيضاً في هذا السياق -: «ما رأيت نعمة موفورة إلاّ وبجانبها حق مضيّع».

ولاشك أن الإمام عليه السلام يقصد بـ(النعمة الموفورة) الثراء الواسع الذي لا يمكن ان يتّسع بهذا الحد في اطار التقوى والعدل. ولا نشك أَن الفواصل الطبقية الكبيرة، لا يمكن أن تحصل غالباً من مصادر شرعية في الإثراء والسلطان.

---

(١) كلمة: رقم ٣٢٨، من قصار الكلمات.

وبناء على ذلك يقول الإمام عليه السلام: إلى جانب كل ثـراء واسـع لا يمكن أن يجتمع من خلال تجاوز لحدود الله في كسب المـال والى جانـب كل تجاوز وكسب غير مشروع للمال حق مضيّع للنـاس، وهـي معادلـة ثابتة. وعندئذٍ نتساءل كيـف يتعامـل الحـاكم مـع هـاتين الطبقتـين، في المجتمعات التي تتواجد فيها هاتان الطبقتان.

فإن هاتين الطبقتين متقاطعتان، لا يمكن ان يجمعهـما الحـاكم في الرضا، بسبب التقاطع القائم بينهما، لأن الخاصـة تتمـدّد عـلى مـساحة حقوق العامة، فاذا أرضى العامة يُسْخط الخاصـة، وإذا أرضى الخاصـة يُسْخط العامة لا محالة، ولا يمكن ان يكسب الحاكم رضاهما جميعاً، إلاّ إذا زالت عنهما حالة التقـاطع والـتمادي، وتمـدّد احـداهما عـلى حقـوق الأخرى.

وعندئـذٍ فلابّـد ان يبحـث الحـاكم عـن أجمـع مـساحة للـرضى بينهما،يعني (أوسع مساحة للرضا)[1] داخل المجتمع، حيـث لا يمكـن ان يعمم كل الساحة بالرضا.

والمساحة الاوسـع في المجتمـع التـي يجـب أن يرضـيها بالعـدل

---

(١) والإمام عليه السلام يقصد بـ (الأجمع) (الأوسع) لا محالة، للتفصيل الـوارد في نفـس المقطع من عهد الإمام عليه السلام، الذي يـشعر بالتقـاطع بـين رضـا العامـة ورضـا الخاصة، فلا يمكن الجمع بينهما فـإذا رضى أحـدهما سـخط الآخـر، لا محالـة. يقول عليه السلام (فإن سُخط العامة يجحف برضا الخاصة، وأن سُخط الخاصة يغتفر مع رضا العامة).

والحق، وإن أسخط الأخرى، هي مساحة العامة من الناس (الجمهور)... وذلك لان الخاصة هي التي تمددت على حق العامة وليس العكس... فلا يكون سُخط الخاصة لكسب رضا العامة ظلماً وتجاوزاً على حقوق الخاصة.

وكأنَّ الإمام عليه السلام يقول: إذا تعذر على الحاكم إسترضاء الجميع، وكان لابد من تقديم إحداهما على الأخرى... يتعين على الحاكم أن يُقدّم رضا العامة على الخاصة، شريطة أن يكون ذلك ضمن قواعد الحق والعدل، فإن رضى العامة يجبر الخلل الحاصل من سُخط الخاصة، وسُخط الخاصة يغتفر مع رضا العامة، وليس العكس، فلا يجبر سخط العامة رضا الخاصّة.

فاستمع إليه عليه السلام: «وليكن أحب الأمور اليك أوسطها في الحق، وأعمها في العدل، وأجمعها لرضا الرعية، فإن سخط العامة يجحف (يُزيل ويُذهب) برضى الخاصة، وأن سُخط الخاصة يغتفر مع رضا العامة».

وهو كلام وتحليل دقيق، حيث لا يتمكن الحاكم ان يجمع بين رضا العامة والخاصة، فلابد أن يقدّم العامة على الخاصة. ولكن بشرطين يذكرهما الإمام عليه السلام في نفس الفقرة، وهما إقامة الحق والعدل.

«وليكن أحب الأمور إليك اوسطها في الحق وأعمها في العدل».

ثم يبين الإمام عليه السلام خصائص كل من الخاصة والعامة.

خصائص الخاصة:

وأول ما يتحدث عنه الإمام في هذا العهد السمات البارزة في طبقة الخاصة.

فيقول عليه السلام: «وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤونة في الرخاء، وأقل مؤونة له في البلاء، وأكره للانصاف، وأسأل بالإلحاف، وأقل شكراً عند العطاء، وأبطأ عذراً عند المنع، وأضعف صبراً عند ملمات الدهر من أهل الخاصة».

وهذه سبع خصال رديئة في هذه الطبقة:

١- فهي ثقيلة على الولاة في مطالبها في أيام الرخاء.

٢- قليلة العون والنجدة لهم في ساعات الشدة والابتلاء.

٣- كثيرة الاجحاف قليلة الانصاف.

٤- كثيرة الالحاف والاصرار في المطالب.

٥- قليلة الشكر.

٦- بطيئة في الإعذار عند المنع.

٧- قليلة الصبر في الملمّات.

وهذه الخصائص والخصال التي يذكرها الإمام عليه السلام في هذا العهد تجعل هذه الطبقة طبقة اجتماعية تعيش على البطر، وقليلة الجدوى، غير مقاومة، ولا تصلح لمواجهة التحديات، ولا تقف في الملمّات والشدائد مع الناس،وتكلف الحاكم وترهقه في مطالبها.

خصائص العامة:

ثم يتحدث الإمام عليه السلام بعد ذلك عن قيمة العامة فيقول عليه السلام: «وإنما عماد الدين، وجماع المسلمين، والعدة للأعداء العامة من الأمة».

وهذه ثلاث خصال:

١- هم عماد الدين، يتقوم به الدين في مواجهة التحديات التي تهدد سلامة الدين وبقاءه.

٢- وهم جمهور الأمة (جماع المسلمين) وهم السواد الأعظم من المسلمين، وعليهم تنزل الرحمة والبركة والنصر من عند الله.

٣- وهم العدة للأعداء... التي تمتلك المقومات، وتختزن كل المقاومة التي تحتاجها الامة في أيام البأساء والشدة.

إيثار العامة على الخاصة:

والنتيجة التي يستنتجها الإمام عليه السلام من هذه المقارنة بين العامة والخاصة هو إيثار العامة على الخاصة، بالعدل والحق فهي قوام الدين، وجمهور الأمة، والعدة للمقاومة في أيام البأساء والشدة.

فيقول عليه السلام: «فليكن صغوك (ميلك) لهم، وميلك معهم».

***

الفصل الثاني

في الأعمال الإدارية التي أقامها أميرالمؤمنين عليه السلام

في فترة حكومته

التراث الإداري في حكومة الإمام علي عليه السلام:

استمرت حكومة أميرالمؤمنين عليه السلام من الفترة ٣٥ هـ إلى ٤٠ للهجرة، وتكون فترة حكمه قد بلغت أربع سنوات وتسعة أشهر وثلاثة أيام.

وقد أقام خلال هذه الفترة أعمالاً كبيرة في حقل السياسة والإدارة والأمن والجيش. على أنقاض حكومة عثمان التي تخللها الكثير من الفساد السياسي والمالي بسبب ضعف الخليفة.

وقد كانت سياسة الإمام الإدارية والاقتصادية تنطلق من ثوابت لا يطيقها سواه، وأهم هذه الثوابت العدل.

فقد ورد عنه عليه السلام: اعدل تحكم[1]، وقوله: العدل أفضل السياستين[2]. فيكون العدل هو المحور الرئيسي الذي تدور حوله سياسته عليه السلام وحركته الإصلاحية عموماً.

وإليك طرفاً من التراث الإداري في سيرة الإمام علي عليه السلام:

---

(١) ميزان الحكمة: ٦/ ٢٤٢٥ عن غرر الحكم.

(٢) نفس المصدر: ٢٤٢٤.

أولاً: السياسة الإدارية:

تميزت سياسته الإدارية بعدم المداهنة مع الباطل وعدم القبول بأنصاف الحلول، وقد تجلى ذلك في عزل عمال عثمان، واسترداد أموال بيت المال.

١ - عزل عمال عثمان:

يقول أرباب السير: انه لما بويع أمير المؤمنين عليه السلام بلغه إنّ معاوية قد توقف عن إظهار البيعة له، وقال: إن أقرّني على الشام وأعمالي التي ولانيها عثمان بايعته، فجاء المغيرة إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال له: يا أمير المؤمنين إنّ معاوية من قد عرفت، وقد ولاّه الشام من قد كان قبلك، فوله أنت كيما تتسق عرى الأمور، ثم اعزله إن بدا لك.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أتضمن لي عمري يا مغيرة فيما بين توليته إلى خلعه، قال: لا. قال: لا يسألني الله عز وجل عن توليته على رجلين من المسلمين ليلة سوداء أبداً، «وما كنت متخذ المضلين عضداً» لكن أبعث إليه وأدعوه إلى ما في يدي من الحق، فإن أجاب فرجل من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم، وإن أبى حاكمته إلى الله[1].

---

(١) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ٤ / ١١٧ نقلاً من امالي الشيخ الطوسي ٨٧ وبشارة المصطفى ٢٦٣ والمناقب لابن شهر اشوب ٣/ ١٩٥.

لقد كان بإمكان الإمام عليه السلام أن يبقي معاوية، وله في ذلك عذر واضح، لأن الظروف السياسية المحيطة به لا تسمح له بعزل هذا الوالي العنيد الذي أقامه من قبله عمر بن الخطاب ثم أقره عثمان بن عفان،وبسط له الملك والولاية، وهو يحكم واحدة من أكبر الأقاليم الإسلامية وأغناها، وهي الشام، وقد هيمن عليها وعلى أهلها بشكل يتعذر عليه إزاحته.

ولكن الإمام لا يقبل بأنصاف الحلول وإنْ حققت له إنجازاً سياسياً مؤقتاً، فإن مجرد الإمضاء على بقاء معاوية ولو لفترة قصيرة بمعنى إعطاء معاوية مشروعية البقاء... وهذا الامضاء لولاية معاوية يعني بالتفسير الاخير امضاءً لكل المفاسد الادارية والسياسية التي تكونت في عهد الخليفة الضعيف، على يد عمّاله من بني امية... وما يدري علياً عليه السلام، اذا أمضى هذه السياسة الاموية الفاسدة مؤقتاً أن يطول به العهد لينقضه بعد ذلك، ولعله لا يطول به الأمر لهذه المرحلة الثانية، اولا يقوى على ذلك.

فيكون قد أمضاه باختياره، ولم يتمكن بعد ذلك من نقضه، وهو مالا يريده ابو الحسن عليه السلام ابداً وبأي ثمن.

وهذا هو معنى كلامه للمغيرة بن شعبة الذي نصحه بإبقاء معاوية بصواة مؤقتة.

٢- استرداد أموال بيت المال:

وكان الإنجاز الآخر هو استرداد أموال بيت المال.

فقد ورد أن الإمام عليه السلام خطب في اليوم الثاني من بيعته بالمدينة فقال: «ألا إن كل قطيعة أقطعها عثمان، وكل مال أعطاه من مال الله، فهو مردود في بيت المال، فإن الحق القديم لا يبطله شيء، ولو وجدته وقد تزوج به النساء، وفرق في البلدان، لرددته إلى (بيت المال)، فإن في العدل سعة، ومن ضاق عنه الحق فالجور عليه أضيق»[1].

لقد استرجع الإمام عليه السلام الأموال التي اخذها عثمان من بيت المال وقسمها على بني امية، وهو يعلم أنه عليه السلام بهذا الإجراء الصارم، سوف يجر على نفسه الكثير من الأزمات في حكومته.

٣- الالتزام بالقانون:

والجانب الآخر في سياسته الإدارية هو الإلتزام بالقانون تجاه المتخلفين من القانون مهما كان المذنب يتمتع بالحصانة العشائرية أو المالية.

تأمل في هذه الصورة الرائعة التي يرسمها لنا الإمام الباقر عليه السلام، عن سيرة الإمام علي عليه السلام في تطبيق قوانين الدولة.

فقد ورد عنه عليه السلام: أخذ (علي عليه السلام) رجلاً من بني أسد في حدّ،

---

(١) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: ٤/ ١٢١ عن شرح النهج لابن ابي الحديد ١/ ٢٦٩.

فاجتمع قومه ليكلموه فيه، وطلبوا إلى الحسن أن يصحبهم، فقال: ائتوه فهو أعلى بكم عيناً، فدخلوا عليه وسألوه، فقال: لا تسألوني شيئاً أملك إلاّ أعطيتكم فخرجوا يرون أنهم قد أنجحوا، فسألهم الحسن، فقالوا: أتينا خير مأتيّ. وحكوا له قوله، فقال: ما كنتم فاعلين إذا جلد صاحبكم فاصنعوه، فأخرجه علي فَحَدّه، ثم قال: هذا والله لستُ أملكه[1].

بل أنه عليه السلام أقام الحد على شاعره عندما شرب الخمر، وهو يعلم إن عاقبة ذلك غضب الشاعر والتحاقه بمعسكر معاوية، وانحراف أقاربه الذين كانوا من المقربين عند الإمام عليه السلام الذين دخلوا على الإمام وهم في فورة الغضب والاعتراض، فكان جوابه عليه السلام لهم، وهل هو إلاّ رجل من المسلمين انتهك حرمة من حرم الله فأقمنا عليه حداً كان كفارته، إن الله تعالى يقول ﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوى﴾[2].

٤- عزل من ثبتت خيانته من العمّال ومحاسبتهم:

وهذه صورة أخرى للحملة العلوية الشاملة لتطهير الدولة من العناصر الفاسدة من أمثال الأشعث بن قيس الذي استعمله عثمان على

---

(١) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: ٤/ ١٣٠ نقلا عن المناقب لابن شهر اشوب ٢/ ١٤٧ ودعائم الإسلام ٢/ ٤٤٣ وبحار الانوار ٤١/ ٩.

(٢) روى هذه الرواية صاحب الغارات في٢/ ٥٣٣ وابن شهر آشوب في المناقب ٢/ ١٤٧ والمجلسي في البحار: ٤١/ ٩.

آذربايجان.

فقد ورد في التاريخ: أنه أصاب مائة ألف درهم، ويقول البعض: أقطعه عثمان إياها، وبعض يقول: أصابها الأشعث في عمله.

فأمره علي عليه السلام بإحضارها فدافعه، وقال: يا أميرالمؤمنين لم أصبها في عملك، قال: والله لئن أنت لم تحضرها بيت مال المسلمين، لأضربنك بسيفي هذا أصاب منك ما أصاب.

فأحضرها وأخذها منه وصيرها في بيت مال المسلمين، وتتبع عمال عثمان، فأخذ منهم كل ما أصابه قائماً في أيديهم، وضمنهم ما أتلفوا[1].

وهذه سودة بنت عمارة الهمدانية، تصف لنا صرامة الإمام عليه السلام مع عمّاله الذين تثبت خيانتهم حيث تقول وهي تخاطب معاوية لتقارن بين ظلمه وجوره، وعدل أميرالمؤمنين عليه السلام:

لقد جئته في رجل كان قد ولاّه صدقاتنا، فجار علينا فصادفته قائماً يريد الصلاة، فلما رآني انفتل، ثم أقبل عليّ بوجه طلق، ورحمة ورفق، وقال: لك حاجة؟ فقلت: نعم، وأخبرته بالأمر فبكى، ثم قال: اللهم أنت شاهد أني لم آمرهم بظلم خلقك، ولا بترك حقك. ثم أخرج من جيبه قطعة جلد، وكتب فيها: ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ قَدْ جاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْياءَهُمْ**

---

(١) دعائم الاسلام ١/ ٣٩٦.

﴿وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِها ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، إذا قرأت كتابي هذا فاحتفظ بما في يدك من عملك حتى يُقدم عليك من يقبضه. والسلام.

ثم دفع إليّ الرقعة، فجئت بالرقعة إلى صاحبه فانصرف عنا معزولاً[1].

إنّ الملاحقة للمفسدين وعدم التهاون معهم تؤدي بلا شك إلى الحياة الطيبة التي يظلّلها العدل والقانون، وهذا الرفض العلوي للشفعاء الذين يحاولون التوسط للمذنبين يؤسس للثقافة الإدارية التي يريدها الإسلام، ولسيادة القانون وخضوع الجميع له.

فليس من العدل أن تطبق مبادئ القانون بحذافيرها على الفقراء ويستثنى منها الأغنياء وأصحاب النفوذ.

٥- نهي العمال عن أخذ الهديّة:

رُوي إنّ علياً استعمل رجلاً من بني أسد يقال له: ضبيعة بن زهير، فلما قضى عمله أتى علياً بجراب فيه مال، فقال: يا أمير المؤمنين عليه السلام، إنّ قوماً كانوا يهدون لي حتى اجتمع منه مال فهذا هو ذا، فإن كان لي حلالاً أكلته، وإن كان غير ذاك فقد أتيتك به، فقال عليّ: لو

---

(١) الفصول المهمة ١٢٧ والعقد الفريد ١/ ٣٣٥ وبلاغات النساء / ٤٧ وكشف الغمة ١/ ١٧٣ .

أمسكته لكان غلولاً. فقبضه منه وجعله في بيت المال[1].

ومعنى الغلول: الخيانة.

والإمام عليه السلام يريد بهذه الإجراءات الشديدة أن يحصّن الموظفين في دولته من خطر الهدايا، فإنها مقدمة للانحراف والفساد.

لأنّ الغني وصاحب النفوذ وحده من يستطيع تقديم الهدايا وإقامة الولائم للمسؤولين وكان الأولى أن تكون من نصيب الفقراء، ولكنهم يريدون بذلك شراء ضمائر الموظفين واستغلال مواقعهم في الدولة.

٦- اختيار العيون لمراقبة العمال:

ورد في كتاب أميرالمؤمنين عليه السلام إلى كعب بن مالك: أما بعد، فاستخلف على عملك، واخرج في طائفة من أصحابك حتى تمر بأرض كورة السواد، فتسأل عن عمالي، وتنظر في سيرتهم فيما بين دجلة والعذيب)[2].

هكذا كان يتابع عمّاله وولاته حتى يشعروا بعيونه تراقبهم في المواقع التي يديرونها.

---

(١) موسوعة الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام: ٤/ ١٥٥ نقلاً عن اخبار القضاة: ١/ ٥٩.

(٢) نفس المصدر: ٤/ ١٣٨-١٣٩ نقلاً عن تاريخ اليعقوبي ٢/ ٢٠٤ .

فإن الرقابة المستمرة بلا شك تمنع من التحلل والفساد الإداري والمالي.

ثانياً: السياسة الاقتصادية:

١ - مراقبة السوق:

ورد عن الإمام الباقر عليه السلام انه قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام بالكوفة عندكم يغتدي كل يوم بكرة من القصر، فيطوف في أسواق الكوفة سوقاً سوقاً ومعه الدرة على عاتقه، وكان لها طرفان، وكانت تسمى السبيبة، فيقف على أهل كل سوق، فينادي: يا معشر التجار، إتقوا الله عز وجل.

فإذا سمعوا صوته عليه السلام ألقوا ما بأيديهم، وارعوا إليه بقلوبهم، وسمعوا بآذانهم، فيقول عليه السلام: قدّموا الإستخارة، وتبركوا بالسهولة، واقتربوا من المبتاعين، وتزينوا بالحلم، وتناهوا عن اليمين، وجانبوا الكذب، وتجافوا عن الظلم، وأنصفوا المظلومين، ولا تقربوا الربا، وأوفوا الكيل والميزان، ولا تبخسوا الناس أشياءهم، ولا تعثوا في الأرض مفسدين، فيطوف عليه السلام في جميع أسواق الكوفة، ثم يرجع فيقعد للناس[1].

---

(١) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: ٤/ ١٧٦ نقلاً عن الكافي ٥/ ١٥١ وتهذيب الاحكام ٧/ ٦/ ١٧ وامالي المفيد ١٩٧.

لابد من وجود رقابة اقتصادية صارمة للسوق في تفاصيل البيع والشراء، والمعاملات التجارية الأخرى، وفي خلاف ذلك فإنّ السوق سوف يتحول إلى مركز للفساد الاقتصادي.

ويصف لنا الإمام الحسين عليه السلام حركة الإمام علي عليه السلام في أسواق الكوفة بشكل تفصيلي.

فقد ورد عنه عليه السلام: أن (علياً عليه السلام) ركب بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله الشهباء بالكوفة، فأتى سوقاً سوقاً، فأتى طاق اللحامين، فقال بأعلى صوته، يا معشر القصابين، لاتنخعوا، ولا تعجّلوا الأنفس حتى تزهق، وإياكم والنفخ في اللحم للبيع، فإني سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله ينهى عن ذلك. ثم أتى التمّارين فقال: أظهروا من ردئ بيعكم ما تظهرون من جيده.

ثم أتى السمّاكين فقال: لا تبيعوا إلاّ طيباً، وإياكم وما طفا.

ثم أتى الكُناسة فإذا فيها أنواع التجارة، من نحاس، ومن مائع، ومن قماط، ومن بائع ابر، ومن صيرفي، ومن حناط، ومن بزّاز، فنادى بأعلى صوته: إنّ أسواقكم هذه يحضرها الأيمان، فشوبوا أيمانكم بالصدقة، وكفوا عن الحلف، فإن الله عز وجل لا يقدّس من حلف باسمه كاذباً[1].

---

(١) نفس المصدر: ٤/ ١٧٦ - ١٧٧ نقلاً عن الجعفريات ٢٣٨، ودعائم الاسلام ٢/ ٥٣٨.

هكذا، ينزل الإمام عليه السلام بنفسه إلى السوق وبيده الدُرّة لينذر المطففين والذين يغشون في تجارتهم. ويباشر هذا العمل الشاق بنفسه، ولا يكله إلى غيره ليطمئن بنفسه إلى سلامة حركة التجارة في السوق.

قال الأصبغ: قلتُ له يوماً أنا أكفيك هذا يا أميرالمؤمنين، واجلس في بيتك !

فيقول له الإمام عليه السلام: ما نصحتني يا أصبغ[1].

لقد كان المجتمع الإسلامي يومذاك، بعد ما دبّ فيه الفساد الإداري والمالي بحاجة إلى نزول أميرالمؤمنين عليه السلام بنفسه إلى السوق، ليدرك الناس اهمية العدل في أسواق المسلمين.

وقد كان الإمام عليه السلام يمثل هذه السلطة ويدخل في أوساط الناس ليتعلموا منه احترام النظام وتطبيق مبادئ القانون.

٢- التسامح في جباية الخراج:

يصف أحد الرجال الذين استعملهم الإمام علي عليه السلام لأخذ الخراج، فيقول: إستعملني علي بن أبي طالب عليه السلام على بانقيا (وهي ناحية من نواحي الكوفة) وسواد من سواد الكوفة، فقال لي – والناس حضور –: أنظر خراجك فجد فيه، ولا تترك منه درهماً فإذا أردت أن تتوجه إلى عملك فمر بي.

---

(١) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: ٤ / ١٧٧.

قال: فأتيته، فقال لي: إنّ الذي سمعت مني خدعة[1]، إياك أن تضرب مسلماً أو يهودياً أو نصرانياً في درهم خراج، أو تبيع دابة عمل في درهم، فإنما أمرنا أن نأخذ منهم العفو[2].

وقال آخر: استعملني علي بن أبي طالب عليه السلام على بزر جسابور، فقال: لا تضربن رجلاً سوطاً في جباية درهم، ولا تبيعن لهم رزقاً، ولا كسوة شتاء ولا صيف، ولا دابة يعتملون عليها، ولا تقم رجلاً قائماً في طلب درهم.

قال: قلت: يا أميرالمؤمنين، إذاً أرجع إليك كما ذهبت من عندك! قال: وإن رجعت كما ذهبت، ويحك إنّما أمرنا أن نأخذ منهم العفو – يعني الفضل[3].

٣- عدم التأخير في توزيع أموال العامة:

ويروي أحدهم انه قال: شهدتُ علي بن أبي طالب عليه السلام أُتي بمال عند المساء، فقال: أقسموا هذا المال، فقالوا: قد أمسينا يا أميرالمؤمنين! فأخِّره إلى غدٍ. فقال لهم: تقبلون – أي تكفلون – لي أن أعيش إلى غدٍ؟ قالوا: ماذا بأيدينا !

---

(١) حتى لا يتهاون الناس في أداء الخراج، صرامة في القرار والتقنين وتسامح في التنفيذ.

(٢) المصدر السابق:١٨٣.

(٣) المصدر السابق: ٤ / ١٨٤ – ١٨٣ نقلاً عن السنن الكبرى للبيهقي: ٩ / ٣٤٥.

قال: فلا تؤخّروه حتى تقسّموه، فأتي بشمع، فأقسموا ذلك المال من تحت ليلتهم[1].

٤- التوزيع بالسويّة:

في الكافي عن أبي مخنف: أتى أمير المؤمنين عليه السلام رهط من الشيعة، فقالوا: يا أمير المؤمنين، لو أخرجت هذه الأموال ففرقتها في هؤلاء الرؤساء والأشراف، وفضلتهم علينا، حتى إذا استوثقت الأمور عدت إلى أفضل ما عوّدك الله من القسم بالسوية، والعدل في الرعية!! فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أتأمروني - ويحكم - أن أطلب النصر بالظلم والجور فيمن ولّيتُ عليه من أهل الإسلام !! لا والله لا يكون ذلك ما سمر السمير، وما رأيت في السماء نجماً، والله لو كانت أموالهم مالي لساويتُ بينهم، فكيف وإنّما هي أموالهم !!.

وهذه دروس قيادية يرسلها أمير المؤمنين عليه السلام عبر التاريخ إلى كل من يتصدى لموقع قيادة الجماعة المؤمنة وادارتها، ليتعلم هذه القوة والصرامة في الحق والرحمة والتسامح مع الطبقة المستضعفة من الناس.

وسبحان الذي جمع في علي عليه السلام هذه الأضداد من الصفات: اللين، والرحمة، والرقة، والعاطفة، من جانب، والصرامة، والقوة، والحسم، والحزم، من جانب آخر ... كل في موقعه.

---

(١) الامالي للطوسي ٤٠٤ وتنبيه الخواطر ٢/ ١٧٣ والمناقب لابن شهر اشوب ٢/ ٩٥.

ثالثا: السياسة الأمنية:

ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: شر البلاد بلد لا أمن فيه، ولا خصب[1].

وفي هذا الجانب من قيادته وإدارته عليه السلام نشير إلى النقاط التالية:

الإجراءات الأمنية التي اتخذها الإمام عليه السلام في دولته.

١ - الاستخبارات الأمنية:

في كتابه عليه السلام إلى عمّاله يقول: بسم الله الرحمن الرحيم - من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى من قرأ كتابي هذا من العمال: أما بعد فإن رجالاً لنا عندهم بيعة خرجوا هرباً فنظنهم وجهوا نحو بلاد البصرة، فاسأل عنهم أهل بلادك، واجعل عليهم العيون في كل ناحية من أرضك، ثم اكتب إليّ بما ينتهي إليك عنهم، والسلام[2].

وقد كان الإمام عليه السلام حريصاً مهتماً بالاستخبارات بمعناها الحديث في حروبه، فقد روي أنه في وقعة صفين بعث عليه السلام خيلاً ليحبسوا عن معاوية مادة، فبعث معاوية الضحاك بن قيس الفهري في خيل إلى تلك الخيل فأزالوها، وجاءت عيون علي فأخبرته بما قد كان، فقال علي لأصحابه: فما ترون فيما هاهنا، فقال بعضهم: نرى كذا، وقال

---

(١) غرر الحكم للامدي - حكمة ٥/ ٦٨٤.

(٢) الغارات ١/ ٣٣٧، والبحار ٣٣/ ٤٠٧.

بعضهم: نرى كذا. فلما رأى ذلك الاختلاف أمرهم بالغدو إلى القوم، فغاداهم إلى القتال قتال صفين فانهزم أهل الشام[1].

٢- إجلاء المتآمرين أو حبسهم:

روي أن أميرالمؤمنين عليه السلام استخلف حين سار إلى النهروان رجلاً من النخع يقال له: هاني بن هوذة، فكتب إلى علي عليه السلام: أنّ غنياً وباهلة فتنوا، فدعوا الله عليك أن يظفر بك عدوك، قال: فكتب إليه علي عليه السلام: أجْلِهِم (من مادة الإجلاء) من الكوفة ولا تدع منهم أحداً[2].

رابعاً: السياسة العسكرية:

خاض أميرالمؤمنين عليه السلام في فترة حكومته ثلاث حروب رئيسية هي الجمل، وصفين والنهروان. وقد حقق فيها إنتصارات عظيمة، ولولا تخاذل جيشه في صفين لتمكن من اكتساح جيش الشام والقضاء على نفوذ معاوية.

هذه الانتصارات لم تأت من فراغ بل من الإدارة الحكيمة للجيش وللعمليات القتالية، ومن خلال التنظيم الدقيق للقوات

---

(١) موسوعة علي بن ابي طالب عليه السلام: ٤/ ٢٦٩ نقلا عن وقعة صفين لنصر بن مزاحم ٣٦٠.

(٢) المصدر السابق: ٤/ ٢٨٢- ٢٨٣ عن كتاب الغارات ١ / ١٨.

المسلحة. يقول ابن عباس: عُقم النساء أن يأتين بمثل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، والله ما رأيت ولا سمعت رئيساً يوزن به، لو رأيته يوم صفين وعلى رأسه عمامة قد أرخى طرفيها، كأن عينيه سراج سليط، وهو يقف على شرذمة يحضّهم...)[1].

وقد تجلت عبقرية الإمام عليه السلام الإدارية لقواته المسلحة بعدة أمور:

١ - تنظيم الجيش:

روي أن أمير المؤمنين عليه السلام إذا زحف للقتال جعل ميمنة وميسرة وقلباً يكون هو فيه، ويجعل لها روابط، ويقدم عليها مقدمين، ويأمرهم بخفض الأصوات، والدعاء، واجتماع القلوب، وشهر السيوف، وإظهار العدة، ولزوم كل قوم مكانهم، ورجوع كل من حمل إلى مصافه بعد الحملة.

وفي وصيته عليه السلام وصّى بها جيشاً بعثه إلى العدو: فإذا نزلتم بعدو أو نزل بكم فليكن معسركم في قُبُل[2] الإشراف، أو سفاح الجبال، أو أثناء الأنهار، كيما يكون لكم ردءاً، ودونكم مرداً، ولتكن مقاتلتكم من وجه واحد أو إثنين.

---

(١) المصدر السابق: ص ٢٨٨ نقلاً عن تاريخ دمشق ٤٢/ ٤٦٠ .

(٢) قبل الاشراف: سفوح المرتفعات .

واجعلوا لكم رقباء في صياصي الجبال، ومناكب الهضاب، لئلا يأتيكم العدو من مكان مخافة أو أمن، واعلموا أن مقدمة القوم عيونهم، وعيون المقدمة طلائعهم.

وإياكم والتفرق، فإذا نزلتم فانزلوا جميعاً، وإذا ارتحلتم فارتحلوا جميعاً، وإذا غشيكم الليل فاجعلوا الرماح كفة، ولا تذوقوا النوم إلاّ غراراً أو مضمضة[1].

هذه الوصية تذكرنا بقيادة الرسول صلى الله عليه وآله لجيشه في معركة احد، وكيف أنه وضع العيون على الجبل، وكانت تقود المسلمين إلى النصر الأكيد لولا مخالفة الرماة تعاليمه صلى الله عليه وآله.

٢- تأسيس القوات الخاصة:

وقد قام أميرالمؤمنين عليه السلام بتأسيس شرطة الخميس وكان قوامها ستة آلاف رجل من اصحابه المخلصين[2] وقد ضمت في قياداتها أسماءً لامعة مثل عمار بن ياسر، وجابر بن عبد الله الأنصاري، عمرو بن الحمق الخزاعي، وأصبغ بن نباته، وميثم التمار، ورشيد الهجري، وحبيب بن مظاهر الأسدي، ومحمد بن أبي بكر، وقنبر مولاه وغيرهم من أصفياء أصحابه.

---

(١) تحف العقول ١٩٢ وقعة صفين: ١٢٤.

(٢) الاختصاص: ٢.

ويبدوا أن هذه القوة الخاصة ادخرها الإمام عليه السلام للتدخل في المهمات الخاصة التي تتطلب مواصفات خاصة في شخصية المقاتل.

ويصف الأصبغ بن نباتة هذه القوة لرجل سأله: ما كان منزلة الإمام علي عليه السلام فيكم؟ قال: ما أدري ما تقول! ألاّ أن سيوفنا كانت على عواتقنا، فمن أومئ إليه ضربناه بها.

وكان يقول: تشرّطوا، فوالله ما اشتراطكم لذهب ولا لفضة، وما اشتراطكم إلاّ للموت، إنّ قوماً ما من قبلكم من (بني إسرائيل) تشارطوا بينهم، فما مات أحد منهم حتى كان نبي قومه، أو نبي قريته، أو نبي نفسه، وإنكم لبمنزلتهم، غير انكم لستم بأنبياء[1].

ومن هذا الوصف يتضح أنّ السمة الأساسية التي تميزت بها هذه القوة الضاربة هي الطاعة الكاملة لأوامر الإمام عليه السلام. والخضوع الكامل لإرادته عليه السلام خضوع الذي لا يناقش ولا يحتج ولا يعترض، فإن الأسماء التي ضمها كيان شرطة الخميس بلغت في مستوى الإخلاص والانقياد لأوامر الإمام عليه السلام ما جعل أصحابها مؤهلة تأهيلاً تاماً لهذه المهمة الخاصة.

فقد روي عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنه قال لعبد الله بن يحيى الحضرمي يوم الجمل: أبشر يابن يحيى، فإنك وأبوك من شرطة الخميس حقاً، لقد أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله باسمك واسم أبيك في شرطة

---

(١) نفس المصدر السابق: ٤/ ٢٩٢- ٢٩٣.

الخميس، والله سماكم شرطة الخميس على لسان نبيه صلى الله عليه وآله. وذكر إنّ شرطة الخميس كانوا ستة آلاف رجل أو خمسة آلاف [1].

٣- الحرب خدعة:

عن عدي بن حاتم: إن أمير المؤمنين عليه السلام قال يوم التقى هو ومعاوية بصفين، ورفع بها صوته ليسمع أصحابه: والله لأقتلن معاوية وصاحبه، ثم يقول في آخر قوله: إن شاء الله – يخفض بها صوته ـ.

وكنت قريباً منه، فقلت: يا أمير المؤمنين عليه السلام انك حلفت على ما فعلت، ثم استثنيت، فما أردت بذلك؟! فقال لي: إن الحرب خدعة، وأنا عند المؤمنين غير كذوب، فأردت أن أحرض أصحابي عليهم كي لايفشلوا، وكي يطمعوا فيهم، إن شاء الله[2].

٤- المسالمة من دون وهن:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وجدتُ المسالمة ما لم يكن وهن في الإسلام أنجع من القتال»[3].

وعنه عليه السلام: «من أفضل النصح الإشارة بالصلح»[4].

---

(١) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: ص ٢٩٤، ٤/ نقلاً عن رجال الكشي ١/ ٢٤.

(٢) المصدر السابق: ٤/ ٣٠٣- ٣٠٤.

(٣) غرر الحكم/ ١٠٣٨١ .

(٤) غرر الحكم ٩٣٧٩ .

وفي عهده إلى مالك الأشتر: «ولا تدفعن صلحاً دعاك إليه عدوك، ولله فيه رضى، فان في الصلح دعة لجنودك، وراحة من همومك، وأمناً لبلادك. ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه، فإن العدو ربما قارب ليتغفل، فخذ بالحزم، وآتهم في ذلك حسن الظن».

***

الفصل الثالث

في مجموعة من المفردات القيادية والثقافية

من خلال الكتاب والسنة وكلمات أميرالمؤمنين عليه السلام

دروس عن مفردات الثقافة الإدارية والقيادية في الإسلام:

وفيما يلي نحاول إنشاء الله، أن نستعرض طائفة من مفردات الخصال القيادية والإدارية في الثقافة الإدارية في الإسلام مسندة بكلمات أمير المؤمنين عليه السلام.

هذه المفردات مبثوثة، في التعاليم الأخلاقية والعرفانية والإدارية والوعظية، في النصوص الإسلامية من الكتاب والسُنة وكلمات أمير المؤمنين عليه السلام، ونحن نحاول فيما يلي أن نستعرض طائفة من هذه المفردات على هذا المنهج.

١ - ٢ - القرار بين التوكل والتفويض والاستشارة:

هذان المفهومان، مفهومان حركيان، نابعان من التوحيد، ويمنحان الإنسان قدرة فائقة وكفاءة عالية على التحرك في ساحات الحياة العريضة.

وهما يسلبان الإنسان كل حالة للتردد والضعف والخوف في العمل.

فإن التوكل والتفويض يقومان على أساس حالة نفسية ثابتة ومطمئنة للعبد. وهذه الحالة النفسية المطمئنة بالله تعالى تمنح الإنسان القدرة والقوة والمعنوية العالية في العمل.

وقد وعد الله تعالى عباده أن يكفي المتوكلين عليه، يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ و(حَسْبُهُ) يعني: يكفيه من كل شيء. فإن الله يكفي من كل شيء ولا يكفي عنه شيء.

وكفاية الله تعالى لعبده سُنة مشروطة من سُنن الله. وهذا الشرط هو التوكل على الله، فمن يتوكل على الله يكفيه الله وهو حسبه. يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾.

وهذا هو معنى السنن المشروطة، بخلاف السنن القطعية غير المشروطة فهي غير مرتبطة بشرط، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَراتِ﴾.

فإن الابتلاء سُنة مطلقة وغير مشروطة. والتوكل هو أحد وجهي القرار. والوجه الآخر للقرار هو (الاستشارة). وتتم الاستشارة في مرحلة التحضير للقرار، بالتداول والمناقشة مع أصحاب الرأي... وهذا هو الوجه الآخر للقرار.

الوجه الأول هو (التوكل) في مرحلة التنفيذ والعزم. وأما الاستشارة ففي مرحلة التحضير للقرار، وهي تنفع في تنضيج القرار وترشيده.

والتوكل في مرحلة العزم والتنفيذ ينفع في كبح (الأنا) في مرحلة القرار والعزم والتنفيذ، وتعميق اعتماد العبد على الله تعالى وحوله وقوته.

وعن هذين الوجهين للقرار يقول تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾.

وعندما يتوكل العبد على الله يعينه الله في شأنه ويسدده ويأخذ بيده، ويذلل امامه العقبات الصعبة.

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «من كان متوكلاً على الله لم يعدم الاعانة»[1].

وعنه عليه السلام أيضاً: «من توكل على الله ذلت له الصعاب وتسهلت عليه الاسباب»[2].

وعنه عليه السلام أيضاً: «ليس لمتوكل عناء»[3].

وعنه عليه السلام: «يايها الناس توكلوا على الله، وثقوا به، فانه يكفي من سواه»[4].

وناهيك بذلك، فان الانسان لا يتوكل على الله ولا يضع ثقته بالله

---

(١) غرر الحكم للامدي ٨١٢٨_ ٩٠٢٨_ ٧٤٥١.
(٢) نفس المصدر.
(٣) نفس المصدر.
(٤) كنز العمال ٨٥١٣.

الا اذا كان واثقاً بان الله يكفيه من كل شيء، فإذا توكل على الله بهذه الثقة والايمان كفاه الله من كل شيء.

والتوكل على الله يمنح صاحبه النور الذي يعرف به الشبهات والاخطاء فيتجنبها. عن أميرالمؤمنين عليه السلام : «من توكل على الله اضاءت له الشبهات»[1].

ولكن علينا ان نميز بين الصحيح والخطأ في معنى التوكل.

الصحيح في معنى التوكل أن يبذل الانسان جهده في التفكير والتخطيط والإستشارة والدراسة الموضوعية والاستفادة من خبرات الاخرين وتجاربهم، ويجعل الله تعالى وكيلا عن نفسه في تسديده وانجازه وتجنيبه الاخطاء. وتوفيقه للنجاح... وهذا هو الصحيح في معنى التوكل... والخطأ في تفسير التوكل أن يلغي الانسان الأمر عواهنه،ويقعد عن الحركة والتفكير والاستشارة والدراسة والتخطيط والنزول إلى ساحات العمل ويتوكل على الله.

روي عن أميرالمؤمنين عليه السلام انه مَّر بقوم أصحاء جالسين في زاوية المسجد فقال: من انتم؟ قالوا: نحن المتوكلون قال عليه السلام : لا بل انتم المتأكلة فإن كنتم متوكلين ما بلغ بكم توكلكم؟ قالوا: اذا وجدنا أكلنا واذا فقدنا صبرنا. قال عليه السلام : هكذا تصنع الكلاب عندنا.

---

(١) غرر الحكم للامدي ٨٩٨٥.

قالوا: فما نفعل؟ قال: كما نفعل. قالوا: كيف تفعل؟ قال عليه السلام: اذا وجدنا بذلنا، واذا فقدنا شكرنا[1].

وقال عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية لما اعطاه الراية، يوم الجمل: تزول الجبال ولا تزل،غض على ناجذك. أعر الله جمجمتك،ثبت في الارض قدمك، ارم ببصرك اقصى القوم ،وغض بصرك، واعلم ان النصر من عند الله[2].

صحيح ان النصر من عند الله، ولكن هذه السنة مشروطة بالثبات والمقاومة وصلابة الموقف... عندئذ ينصر الله تعالى عبده. فيقول لابنه محمد: أن يثبّت في الارض قدميه، ويرم ببصره أقصى القوم، ويتقدم غير متهيّب ممن يحول بينه وبين القوم.

ثم يقول له: واعلم أن النصر من عند الله، وهو جوهر الامر والايمان.

والتفويض ان يضع الإنسان نفسه وتصرفه وإرادته وعقله تحت تصرف الله تعالى، يوجهه كيفما يريد، فيعمل بما يريد الله ويختار له. وليس معنى ذلك أن لا يخطط ولا يفكر ولا يحاول، وإنما معنى ذلك أن يجعل تفكيره وعزمه وتدبيره وسعيه تحت تصرف الله ليوجّه الله فكره وعزمه،كما يحب ويريد.

---

(١) مستدرك وسائل الشيعة ١١/ ٢٢٠

(٢) نهج البلاغة الخطبة ١٢

وأثر التفويض في حركة العبد: التسديد، والتأييد، والتبصير من الله تعالى لعبده، ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إلى الله إِنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِالْعِبادِ﴾. وأثره في نفس العبد: الاطمئنان والثقة بالله في الحركة. فإن الإنسان إذا شعر بأن حركته وعمله من تدبير الله، وأن الله يتولى تدبير أمره، ويوجهه، ويبصّره يكتسب قوة ومعنوية عالية في العمل.

إن (العمل) و(الحركة) في ساحات الحياة يمكن أن تكون سُلّماً يرفع الإنسان إلى قمم التوحيد، إذا شدّ الإنسان حركته وعمله بالله تعالى توكلاً وتفويضاً.

ويمكن أن يكون عمله وحركته حجاباً بينه وبين الله إذا قطع حركته وعمله عن الله وشدّه بحجاب الأنا.

فإن الحركة والعمل بهذا الاتجاه يصيبه بخيبة كبيرة في حال الفشل، وبنشوة الذات والأنانية في حالة النجاح. وكلاهما ضاران.

إن أعمالنا في الحياة يمكن أن نحولها إلى مراقي ومعارج للعروج إلى الله، وتعميق حالة الارتباط بالله والعبودية لله تعالى، ويمكن أن تتحول إلى حجب كثيفة، غليظة تحجب صاحبها عن الله تعالى حجباً تاماً.

يقول أميرالمؤمنين عليه السلام، كما في رواية ثقة الاسلام الكليني رحمه الله في الكافي:

«الايمان له اركان اربعة: التوكل على الله، وتفويض الامر إلى الله،

والرضا بقضاء الله، والتسليم لأمر الله عز وجل»[1].

وهذه اربع خصال كما يقول الإمام عليه السلام، وهي في نفس الوقت الاركان الاربعة للمشاريع القيادية والادارية التي ينهض بها عباد الله الصالحون.

فإن التوكل على الله والتفويض إلى الله بشروطها وهو الاستشارة والتفكير والتخطيط والاعداد الصحيح يحقق التسديد من الخطط والمشاريع الادارية والقيادية.

والرضا والتسلم لله يطمئنان العبد ويبعثان في نفسه السكينة والطمأنينة، وهما أهم شروط القيادة والادارة الناجحة التي تتجاوز العقبات بثقة وطمأنينة وثبات.

٣- ٤ـ الذكر والتقوى:

لا نقصد بالذكر هنا التسبيح والتحميد فقط، وإن كان ذلك من الذكر، ومن أوضح مصاديقه، وإنما نقصد بالذكر هنا أن يبقى الإنسان العامل في ساحة العمل، في الإدارة، والقيادة، ومواجهة المشاكل، مرتبطاً بالله تعالى، واضعاً ثقته في الله، مشدوداً بالله، داعياً الله أن ينصره ولا يخذله، ويتولى أموره، ولا يكله إلى نفسه... وهذا الذكر لا يتعارض مع العمل، بل يقوى به العمل وهذا هو الذكر الذي يأمرنا به الله تعالى

---

(١) أصول الكافي ٢/ ٤٧.

في ساحة المعركة.

يقول تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ[1]﴾.

وهذه أربع تعليمات في ساحة القتال: الصبر، والذكر، والطاعة، والتفاهم.

وهذه الأربعة هي من أهم عوامل النصر:

الصبر والصمود: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا﴾.

الذكر: ﴿وَاذْكُرُوا اللهَ﴾.

الطاعة: ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ﴾.

التفاهم والانسجام: ﴿وَلا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾.

وفي هذه الآية الكريمة (الذكر) من أهم عوامل النصر، وفي مقدمتها.

فإن ذكر الله في ساحة المعركة يشدّ ضعف العبد بقوة الله، وعجزه بسلطان الله تعالى، ويمنح الإنسان الشعور بالاستعلاء على الأعداء وعندها يتصاغر الأعداء في عيون المؤمنين، مهما بلغوا في العدد وتتضاءل قوتهم مهما أعدوا من أسلحة وآليات، لأن القائد والجندي

---

(١) الانفال ٤٥ - ٤٦.

ممن عظم الخالق في نفسه فصغر ما دونه في عينيه، على حد تعبير أمير المؤمنين عليه السلام.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿إذا لقيتم عدوكم فقلّلوا الكلام وأكثروا ذكر الله﴾ (١).

لأن النفس الإنسانية بطبيعتها الضعيفة تكره الموت وتؤثر البقاء، وهي في خضم المعركة تتوقع الموت في أي لحظة.

ولا شيء يسكّن هذه النفس الجزوعة الهلوعة إلاّ ذكر الله، وترغيب النفس لما اختاره الله تعالى لعباده الصالحين من الرحمة والرضوان إذا كان موته قتلاً في سبيل الله.

يؤكد الإمام زين العابدين عليه السلام في دعائه لأهل الثغور على التذكير بنعيم الجنة الذي أعده الله للشهداء: «وانسهم عند لقائهم العدو ذكر دنياهم الخداعة الغرور، وأمسح عن قلوبهم خطرات المال الفتون، واجعل الجنة نصب أعينهم، ولوح منها لأبصارهم ما أعددت فيها من مساكن ومنازل الكرامة، والحور الحسان، والأنهار المطردة بأنواع الأشربة، والأشجار المتدلية بصنوف الثمر، حتى لا يُهم احد منهم بالإدبار، ولا يحدث نفسه عن قرنه بفرار».

---

(١) بحار الأنوار: ٩٣/ ١٥٤.

ولذكر الله أهمية كبيرة في حياتنا العملية في الأسواق ودوائر العمل. عن أميرالمؤمنين عليه السلام «أكثروا ذكر الله عز وجل، إذا أدخلتم الأسواق وعند إشتغال الناس فإنه كفارة للذنوب وزيادة في الحسنات ولا تكتبوا في الغافلين»[1].

التقوى حصن منيع للمؤمنين:

وبالتقوى يحصن الإنسان نفسه من خطر الأهواء النفسية، ومن الخيانة والغش.

عن أميرالمؤمنين عليه السلام: «التقوى حصن حصين لمن لجأ اليه»[2].

وعنه عليه السلام ايضاً: «التقوى حصن المؤمن»[3].

وعنه عليه السلام ايضاً: «التقوى حرز لمن عمل بها»[4].

«التقوى أَوفق حصن وأوقى حرز»[5].

وعنه عليه السلام: «الجأوا إلى التقوى فإنها جنة منيعة من لجأ اليها حضنته، ومن اعتصم بها عصمته»[6].

---

(١) بحار الأنوار: ٩٣ / ١٥٤ .

(٢) غرر الحكم ١٥٥٨_ ١٠٤٦_ ١١٢٨

(٣) نفس المصدر.

(٤) نفس المصدر.

(٥) غرر الحكم ١٣٣٠

(٦) غرر الحكم ٢٥٥٣

وعنه عليه السلام: «اعلموا عباد الله إن التقوى دار حصن عزيز، والفجور دار حصن ذليل، لايمنع أهله، ولايحرز من لجأ إليه»[1].

ففي التقوى إذن تحصين للمؤمن في مواقع المسؤولية من الانزلاق والسقوط ولانعرف حصناً ـ بعد التوحيد ـ يحفظ الانسان من مزالق الشيطان أمنع من التقوى.

والتقوى بصيرة وتذكر:

يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ الأعراف ٢٠١.

هذا الطائف الشيطاني يغشي الأبصار حينما يسير الإنسان في طريق الحياة الواسع المزدحم، ومن هنا يحتاج إلى ضوء يكشف له معالم الطريق لكي يسير مطمئناً لا تميل به رياح الإغراء إلى اليمين والشمال.

هذا الضوء هو الشعور بالتقوى الذي يخرجه من الأزمات حينما يصل في تفكيره الإنساني المحدود إلى طريق مسدود.

﴿وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ الطلاق ٢/ ٣.

إنها سنة إلهية تؤدي إلى خروج الإنسان من مضائق الحياة ومن ضنك العيش، وللتقوى معطيات عظيمة يعددها أمير المؤمنين عليه السلام في

---

(١) نهج البلاغة الخطبة ١٥٧.

خطبته المعروفة حيث يقول: «فمن أخذ بالتقوى عزبت عنه الشدائد بعد دنوها، واحلولت له الأمور بعد مرارتها، وانفرجت عنه الأمواج بعد تراكمها، وأسهلت له الصعاب بعد أنصابها»[1].

إنها السعادة الحقيقية التي يقول عنها الإمام الحسين عليه السلام في دعائه «وأسعدني بتقواك، ولا تشقني بمعصيتك».

فإذن بالتقوى وحدها يتحصن القادة والدعاة إلى الله، ويستطيعون الصمود بوجه الإغراءات والعروض التي تجرف الكثيرين، وبالتقوى يتبصر الانسان ويتذكر ويهزم الشيطان.

أرسل أحدهم بصرَّة مال إلى أبي ذر رضي الله عنه على يد عبد له وقال له: إنّ قبلها فأنت حر، فلم يقبلها، فقال: إقبلها فأن فيها عتقي، فقال: إن كان فيها عتقك فإن فيها رقّي، ولا أكون عبداً لغير الله.

وعن أميرالمؤمنين عليه السلام في وصف المتقي: «قد أحيى عقله، وأمات نفسه، حتى دق جليله، ولطف غليظه، وبرق له لامع كثير البرق، فأبان له الطريق، وسلك به السبيل».

وما أحوج القيادات إلى هذا البريق اللامع الذي يكشف لهم الظلمات، وينير لهم الطريق.

---

(١) نهج البلاغة: خ ١٩٨/ ٨.

٥- القـرار:

من مواصفات القرار الأساسية:

أن يكون سديداً صالحاً وناجحاً، نابعاً من حزم وتروّي، وتدبير.

وأن يكسب ثقة الناس ودعمهم وإسنادهم.

ثم القوة والعزم في التنفيذ وعدم التردد في ذلك.

هذه ثلاثة عناصر أساسية للقرار الناجح.

العنصر الأول: أن يكون القرار سديداً صالحاً.

ولإحراز ذلك لابد من اتخاذ القـرار بالتـأني والدراسـة المعمقـة والنظر في أبعاده فلا يكون القرار هشاً سريعاً كرد فعل للظروف الطارئة التي تستفز المسؤولين فتضطرهم لاتخاذ القرار المستعجل.

بل يجب التخطيط الدقيق وإجراء مقارنة بين احتمالات الخسارة واحتمالات النجاح.

يروى إنه جاء رجـل إلى رسـول الله ﷺ فقـال: يـا رسـول الله أوصني، فقال ﷺ فهل أنت مستوص إن أوصيتك ؟ حتى قال ذلـك ثلاثاً. وفي كلها يقول الرجل: نعم يـا رسـول الله، فقـال لـه رسـول الله ﷺ: فإني أوصيك إذا أنت هممت بأمر فتدبر عاقبته، فـإن يـك رشـداً فأمضه وإن يك غياً فانته عنه)[1].

---

(١) بحار الأنوار: ٧١ / ٣٣٩ .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «من تورط في أمر بغير نظر إلى عواقبه فقد تعرض للنوائب»[1].

وعنه عليه السلام قال لعبد الله بن جندب: «وقف عند كل أمر حتى تعرف مدخله من مخرجه قبل أن تقع فيه فتندم»[2].

فالقرار ليس أمراً شخصياً لكي يغامر القائد باتخاذه وتنفيذه، بل يشمل مصير الأمة والجماعة برمّتها.

ومن هنا يأمر أمير المؤمنين عليه السلام المسؤولين بالتدبر الشديد قبل الندم من التسرع في القرار بقوله: «التدبر قبل العمل يؤمنك من الندم»[3].

العنصر الثاني: مشاركة الناس في القرار لكي تضمن القيادة دعمهم لها. فالحاكم المستبد الذي يستأثر بالقرار وينفرد به لا يكسب الناس إلى جانبه. ومن أسرار الاستشارة كسب الناس.

وهذا المعنى واضح في آية الشورى ﴿فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ الله لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى الله﴾[4].

---

(١) بحار الأنوار: ٧٧/ ٢٣٨ .

(٢) تحف العقول: ٢١٦ .

(٣) بحار الأنوار: ٧١/ ٣٣٨ .

(٤) آل عمران: ١٥٩ .

ويذكر رسول الله صلى الله عليه وآله أهمية الشورى بقوله: «أما إن الله ورسوله لغنيان عنها، ولكن جعلها الله رحمة لأمتي، فمن استشار منهم لم يقدم إلاّ رشداً، وما لم يستشر لم يقدم إلاّ غيا»[1].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «من أستبد برأيه هلك، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها»[2].

فالاستشارة تحفظ الإنسان من مهالك الاستبداد، ومن أخطار الأخطاء التي تفقد ثقة الناس بقائدهم، لأنها تثير الشكوك حول قدرته على إدارة الأمور، وهذه الشكوك وحدها تكفي في تخريب علاقة القائد بجمهوره.

ولكن ينبغي أن نفهم إن الشورى لولي الأمر إذا كانت واجبة لقوله تعالى: ﴿وَشاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ فهي غير ملزمة لعدم وجود دليل على الإلزام، ولأن الآية الكريمة تربط التنفيذ والعمل بعزم الرسول صلى الله عليه وآله ﴿فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾.

عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال لابن عباس وقد أشار عليه في شيء لم يوافق عليه: «عليك أن تشير عليَّ فإذا خالفتك فأطعني»[3].

فإن القائد ينبغي أن يتداول مع أصحابه حول ما يستجد على

---

(١) الدر المنثور: ٢/ ٩٠ .

(٢) نهج البلاغة/ الكلمات القصار، كلمة: ١٦١ .

(٣) الوسائل: ٨/ ٤٢٨ .

الساحة من أحداث، ولكن تبقى وظيفته الأساسية اختيار الرأي الأنسب فإذا عزم فلابد أن تكون الكلمة الأخيرة له. وعلى الجميع أن يطيعوه.

العنصر الثالث: العزم والقوة وعدم التردد بعد مرحلة التروي، وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «روّو وتحزم، فإذا استوضحت فاعزم»[1].

وعنه عليه السلام: «اعلم إن من الحزم العزم»[2].

فلابد من الحزم والعزم وهما متلازمان، فإذا ضعف الحزم ضعف العزم، وإذا اشتدَّ الحزم تضاعف معه العزم.

وهذه الحقيقة يؤكدها عليه السلام بقوله: «من قل حزمه ضعف عزمه».

فلا يصحّ التردد في التنفيذ بعد اتضاح الرؤية، بل يتوكل على الله وحده ويقدم على العمل.

٦- الحسم والقطع بعد الحزم:

يحتاج القائد بعد الحزم إلى الحسم والقطع وأن لا يتراجع. فإذا وجد إنّ الموقف لا يتحمل التأخير، فعليه بالتوكل والمبادرة الفورية قبل ضياع الفرصة.

---

(١) البحار: ٧١/ ٣٤١.

(٢) البحار: ٧٧/ ١٦٥.

ومن الشواهد على ذلك هو ما فعله طارق بن زياد عندما ولاه موسى بن نصير طنجة، فجمع معه البربر ثم أمره باجتياز البحر وتحرير الأندلس.

فاجتاز طارق بن زياد البحر بمن معه من البربر، ثم أمر بحرق السفن من ورائهم وإهلاك الطعام الذي معهم إلاّ طعام يوم واحد.

كانت أسبانيا في وقتها مستعمرة يونانية وكان الملك يومئذ (لودريق) (لودريك)، فلما أقبل عليهم لودريك بجيش كبير، خطب طارق بن زياد في جيشه، وقال لهم: «أيها الناس أين المفر والبحر من ورائكم، والعدو أمامكم فليس لكم والله إلاّ الصدق والصبر، واعلموا إنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام، وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته، واقواته موفورة وانتم لا ردء لكم غير سيوفكم، ولا أقوات لكم غير ما تستخلصونه من أيدي أعدائكم».

فلما برز الصفان عرف طارق بن زياد لودريك، وقصده بمن معه فتفرق عن لودريك الجيش فقتله طارق. والتحم الجيشان ووقعت الهزيمة في جيش المشركين، وتم لجيش المسلمين الفتح.

وأخذ طارق يتقدم المدينة بعد الأخرى دون أن يستطيع أحد مقاومته حتى وصل إلى الساحل الآخر الشمالي للمحيط الأطلسي (خليج بسكاي).

واستقرت فيها دولة وحضارة إسلامية أذهلت أوربا في العلوم

والآداب والفنون.

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «روّ تَحزِمْ، فاذا استوضحت فاجزم»[1].

ومعنى ذلك ان الانسان، في موقع القيادة والمسؤولية، يجب ان يحزم كثيراً، والحزم بمعنى التروى (التأمل والاستيضاح والتثبيت)، فاذا تم له الحزم والتروي كما ينبغي، فعليه ان يحزم ويحسم الامر، ولايتردد، فان التردد بعد الحزم والتروي من الضعف.

ويلخص أمير المؤمنين عليه السلام نجاح القادة وانتصارهم في موقع المسؤولية بكلمتين:

«الظفر في الحزم والجزم»[2]. بمعنى ان الظفر يتألف من هاتين الكلمتين: الحزم والتروي والدراسة المتأنية اولاً في مرحلة اتخاذ القرار ثم الحسم والعزم والجزم والاقدام ثانياً في مرحلة تنفيذ القرار.

ويعيد الإمام عليه السلام ضعف القادة في الحسم والجزم والاقدام إلى ضعفهم في مرحلة التروي والحزم، فيقول عليه السلام، كما في غرر الحكم: «من الحزم صحة العزم. من الحزم قوة العزم»[3].

ومن يضعف في التروي والتثبيت والحزم يضعف في الحسم والعزم والجزم لامحالة. (من قل حزمة ضغف عزمه)[4].

---

(١) بحار الانوار ٧١/ ٣٤١

(٢) عوالي اللئالي ١/ ٢٩٥٢

(٣) غرر الحكم ٩٣٩٩و٩٢٦٣

(٤) غرر الحكم ٧٩٨١

والحزم كما قلنا، التروي، والاستشارة، والتثبيت، وعدم التعجل.

وقد سأل الإمام الحسن عليه السلام اباه عليه السلام: ما الحزم؟ قال: ان تنتظر فرصتك وتعاجل ما امكنك[1].

فالحزم التثبّت والتروي وعدم التعجل لحين العمل.

فاذا حان وقت العمل فلابد من الاقدام وعدم التردد مهما أمكن. ومن عوامل (الحزم): الاستشارة والاستفادة من خبرات الآخرين وعقولهم.

قيل لرسول الله: ما الحزم؟ قال: مشاورة ذوي الرأي واتّباعهم[2].

فإذا استنفذ الانسان الحزم والتروي والتثبّت بالقدر اللازم، ثم ضعف عن الحسم والتنفيذ فان ذلك من الجبن وليس من الحزم. عن الإمام العسكري عليه السلام «ان للحزم مقداراً فان زاد عليه فهو جبن»[3].

٧- المؤمن بين الفطنة والتغافل:

يقع المؤمن بين هذين الموقعين (الكياسة والحذر والفطنة من جانب والتغافل من جانب آخر).

---

(١) معاني الاخبار ٤٠١.

(٢) المحاسن ٢/ ٤٥٣ نقلا عن ميزان الحكمة للشيخ رى شهري.

(٣) بحار الانوار ٧٨/ ٣٧٧.

ولا تخالف ولا تناقض بين هاتين الخصلتين، بل الأمر بالعكس، هاتان الخصلتان كل منهما يكمّل الآخر، ويتكاملان.

وسوف نتوقف قليلاً عند شرح هذه النقطة.

ونبدأ بالنقطة الأولى: المؤمن يتصف بالحذر والكياسة والفطنة، ولا يكون غافلاً ولا مغفلاً.

وقد ورد في الحديث: «المؤمن كيس فطن».

وليس معنى ذلك أن خلق المؤمن وتكوينه يختلف عن الآخرين، فيخلق الله المؤمنين كيسين، ويخلق غيرهم من غير كياسة.

فقد يكون المؤمن في الخلقة والتكوين أقل كياسة وفطنة من منافق أو كافر، ويكون الكافر والفاسق أكثر كياسة وفطنة في الخلقة والتكوين من المؤمن. . . وهو يتفق كثيراً.

وإنّما معنى هذه المقولة أنَّ المؤمن يكتسب الكياسة والحذر والفطنة في حياته وسلوكه، لأن المنهج التربوي في الإسلام يوجه المؤمنين باتجاه الكياسة والفطنة والحذر في تعليماته، ولأن طبيعة مسؤولية المؤمنين وحضورهم في ساحة المواجهة والصراع تتطلب منهم الحذر والكياسة والفطنة. . فإن من يتحرك في ساحة الصراع والقتال لابد له من الحذر والانتباه ولحظة غفلة وإهمال كافية للقضاء عليهم.

والسائق الذي يسير بسيارته بسرعة ١٠٠كم في الساعة لابدَ له من الانتباه والحذر ومكافحة الغفلة،ومهمته ومسؤوليته تجبره على ذلك

وتروّضه له.

وبذلك فإن معنى أحاديث من قبيل (المؤمن كيس فطن) أو (المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف)، أن المؤمن يروض نفسه لاكتساب خصال الفطنة والحذر والقوة.

وقد ورد في هذا المعنى عن أمير المؤمنين عليه السلام «ضادوا الغفلة باليقظة»[1].

وهو منهج تربوي دقيق. ان المحاولة المتكررة لليقظة تجعل الانسان يقظاً متنبهاً، كما في المقاتل في ساحة القتال، وكما في السائق اثناء السير. كما ان التساهل والمسامحة في اليقظة والاستسلام للغفلة تجعل الانسان غافلاً.

والموقع الثاني (التغافل) وهو بمعنى التظاهر بالغفلة وعدم الانتباه. . . والمؤمن يقع بين (الفطنة والحذر والانتباه) من جانب، و(التغافل) من جانب آخر.

وقد ورد في الحديث عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام :

«صلاح التعايش والتعاشر ملأ مكيال، ثلثاه فطنة، وثلثه تغافل»[2].

---

(١)غرر الحكم ٥٩٢٥

(٢) تحف العقول/ ٣٥٩ . نقلاً عن ميزان الحكمة.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «المؤمن نصفة تغافل»[1].

والتغافل غير الغفلة. . . وما يجب ان يبرأ منه المؤمنون هو الغفلة وما ينبغي أن يتحلّى به المؤمنون التغافل، وليس من الحذر والانتباه والفطنة أن يواصل الإنسان العتاب والمؤاخذة للناس على غفلاتهم وسقطاتهم... فإن هذا النوع من السلوك من ناحية المسؤولين سرعان ما يفسد العلاقة بينه وبين الناس، ويخسر مودتهم له وتعاطفهم معه. وهو مالا يستغنى عنه المسؤول في موقع المسؤولية.

والموازنة الصحيحة بين الفطنة والكياسة من جانب، والتغافل من جانب آخر هو ما ورد في الحديث من الموقع الوسط بين الفطنة والتغافل، فيكون شطر من علاقاته وملاحظاته قائمةً على الفطنة والحذر والشطر الآخر من علاقاته وملاحظاته قائمة على التغافل والتجاهل، (وليس الغفلة والجهل).

فليس من الصحيح أن تكون علاقاته وملاحظاته كلها قائمة على أساس التنبيه والتذكير والمتابعة والملاحظة والتوبيخ والعتاب. . فإن ذلك سوف يخسره شطراً من أصدقائه والمتعاملين معه،وعلاقاته الاجتماعية والإدارية.

وليس من الصحيح أن يبني علاقاته ومسؤولياته معاً على الإهمال والمسامحة في الأخطاء والتخلفات، فإن ذلك سوف يفقده

---

(١) شرح دعاء مكارم الأخلاق للشيخ محمد تقي فلسفي ١ / ٤٩٤ .

السيطرة على دائرة مسؤولياته.

والصحيح بينهما الموقع الوسط، بين الفطنة والتغافل، والمؤاخذة والمسامحة المبنية على التغافل. والمسامحة المبنية القائمة على التغافل أفضل من المسامحة بعد المحاسبة في بعض الأحيان.

إن الإنسان إذا أحصى على أصحابه وأصدقائه وزملائه ومن يقع في دائرة مسؤولياته كل أخطائهم وزلاتهم وسقطاتهم، وحاسبهم حساباً عسيراً صارماً لا يسلم له صديق ولا علاقة، ولا يبقى لديه من يخلص له في عمله إلاّ قليلاً.

عن أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ، قال: خدمت رسول الله ﷺ ثلاث عشر سنة، فما قال لي يوماً في شيء فعلته، لم فعلته؟ ولا قال لي في شيء تركته، لم تركته؟

إن الإكثار من اللوم والعتاب والملاحظة والمؤاخذة في علاقات العمل، وفي علاقات الحياة العامة يفرق الناس من حول الإنسان، ويُكَرِّه الإنسان إليهم... فلابد في كثير من الأخطاء والزلاّت الصغيرة استخدام حالة التغافل، وهو أجدى وأنفع في معالجة الكثير من الأخطاء.

وقد روي (أن التغافل أحد الاحتمالين)... ومعنى ذلك أن بأزاء المسؤولين احتمالين، يجب عليهم إحتمال أحدهما، وكل منهما يتطلب جهداً نفسياً وعملياً:

الاحتمال الأول: المحاسبة والتنبيه واللوم والعتاب في كل زلة ومخالفة، وهو (احتمال) لا شك يتطلب جهداً نفسياً وعملياً، و(الاحتمال) الآخر هو التغاضي والتغافل عن السقطات والزلات الصغيرة، وهو يتطلب أيضاً جهداً نفسياً بلا شك، فإن التغافل عما يعلمه الإنسان ويلاحظه من الأخطاء لا يقلّ عن معاناة المحاسبة والمؤاخذة.

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «المؤمن نصفه احتمال ونصفه تغافل».

ومعنى ذلك أن المؤمن لابدّ أن يتحمل طائفة من أخطاء أصحابه. وهذا هو الشطر الأول من تعامله مع الآخرين، والشطر الثاني هو التغافل... وهو يقع بين تحمّل أخطاء الآخرين والتغافل عنهم.

وليس معنى التحمّل في الشطر الأول التغاضي والمسامحة دائماً، فقد يقتضي الأمر التغاضي والمسامحة، وقد يقتضي الأمر المحاسبة والمؤاخذة، كما أن الامر يقتضي التنبيه والتذكير بدل التغافل.

ومن وصايا علي بن الحسين عليهما السلام لابنه محمد الباقر عليه السلام: «اعلم يا بني، صلاح الدنيا بحذافيرها في كلمتين: إصلاح شأن المعاش، ملأ مكيال ثلثاه فطنة، وثلثه تغافل، لأن الإنسان لا يتغافل إلاّ عن شيء قد عرفه وفطن له»[1].

---

(١) مستدرك الوسائل ٢ / ٩٢ .

والنقطة التي يشير إليها الإمام عليه السلام دقيقة، فإن التغافل يتطلب الوعي والانتباه، والإنسان لا يتغافل إلاّ من شيء لاحظه وانتبه إليه.

وإذا فقد المؤمن دقّة الملاحظة والانتباه فيما حوله، فلم ينتبه فتلك غفلة وجهل، وليس من التغافل في شيء، ولا قيمة له. وإنما قيمة التغافل في أنه مسبوق بالملاحظة والانتباه.

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «صلاح شأن الناس (في) التعايش، والتعايش مكيال ثلثاه فطنة، وثلثه تغافل»[1].

وتتضمن هاتين الكلمتين الشريفين شطرين.

في الشطر الاول تأكيد على التعايش والتلاقي والحضور في وسط المجتمع،وتجنب الانكفاء على الذات والابتعاد عن الناس.

والشطر الثاني بيان للمنهج الصحيح في التعايش. فان التعايش السليم يتقوم بثلاثة اجزاء جزآن في الفطنة والذكاء الاجتماعي، والجزء الثالث في التغافل عن الاخطاء الاخرى.

فان الانسان إذا أراد احصاء أخطاء الاخرين لاتستقيم له الحياة الاجتماعية. وقد ورد في هذا المعنى عن أميرالمؤمنين عليه السلام «تَغافلْ يُحْمِد امرك»[2].

---

(١) بحار الأنوار ٧٤/ ١٦٧ .

(٢) غرر الحكم للآمدي ٤٧٠

«أشرف أخلاق الكريم تغافله عما يعلمه»[1].

«أشرف خصال الكرم غفلتك عما تعلمه»[2].

«من اشرف احوال الكريم غفلته عما يعلمه»[3].

وكلمة (عما يعلمه) دقيقة في هذه النقطة فأن الغفلة والجهل خصلتان ذميمتان وإنّما التغافل عما يعلمه الانسان خصلة حميدة وعنه عليه السلام: «من لم يتغافل، ولا يغض عن كثير من الامور تنعضت عيشته»[4].

٨- القرار والموقف بين المرونة والحدية:

عرفنا أن قيمة الرأي بـ(الموقف).

والآن نتساءل ما هي حدود الموقف؟

يحمل (الموقف) بالتأكيد حالة من الحدية، ومن دون الحدية القوية، لا يكون الموقف موقفاً. . وإنما يكون (مذبذباً)، والمواقف المذبذبة لا قيمة لها، كما لا قيمة كبيرة للرأي المجرد عن الموقف.

لقد حمل أبو طالب (رضوان الله عليه) إلى رسول الله صلى الله عليه وآله رسالة

---

(١) غرر الحكم للآمدي ٣٢٥٦

(٢) ميزان الحكمة للري شهري ص٣٠٢٤ ح١٥٢١٨ عن دعوات الراوندي ص٢٩٣ ح٤١

(٣) نهج البلاغة الحكمة ٢٢٢

(٤) غرر الحكم ٩١٤٩

من عتاة قريش، طلبوا منه إبلاغها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله.

وهي: أن يكف عن رسالته، فيمنحونه من أموالهم وجاههم وعشيرتهم ما يغنيه، ويحقق له كل ما يطلب من الدنيا.

فحمل أبوطالب رضي الله عنه الرسالة إلى قريش فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته».

وقد اختفى يحيى بن زيد رحمه الله في بيت الحريش بن عبد الرحمن ببلخ..... فكتب نصر بن سيار ـ عامل وليد بن يزيد على خراسان ـ إلى عقيل بن معقل الليثي واليه على بلخ ان يأخذ الحريش فلا يفارقه او تزهق نفسه او يأتيه بيحيى بن زيد، فدعى به فضربه ستماءة سوط. وقال: والله لأزهقنّ نفسك او تأتيني به. فقال: «والله لو كان يحيى تحت قدمي ما رفعتها عنه،فاصنع ما انت صانع»[1].

وعرض عبد الرحمن بن عوف الخلافة يوم الشورى على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، قبل أن يعرضها على عثمان بن عفان، فقال له: أبايعك على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسيرة الشيخين.

فأبى أمير المؤمنين عليه السلام إلاّ أن يسير طبقاً لكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله، وأما سيرة الشيخين فله رأيه فيها إذا طابقته أو خالفته،

---

(١) مقاتل الطالبيين ط النجف ١٣٨٥هـ ص ١٠٤-١٠٥

ورفض الخلافة كلها من أجل هذه الكلمة.

هذه هي الخصلة الأولى للقرار والموقف، وهي الحدية.

والخصلة الثانية لهما: المرونة.

وقد قلنا من قبل كيف تنازل رسول الله صلى الله عليه وآله في أُحُد عن رأيه لشباب الصحابة، عندما أصرّوا عليه بالخروج عن المدينة لمقابلة المشركين، لئلا يكون في ذلك وهن وضعف على المسلمين، فقبل رسول الله صلى الله عليه وآله رأيهم على مضض... وكانت النتيجة النكسة المرّة التي أصابت المسلمين في (أُحُد) ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله آثر أن يأخذ برأي أصحابه، ولا ينفرد عنهم بالقرار، مهما كانت النتائج.

ولكن لكل من الحدية والمرونة موضع في القرار والموقف، والموازنة الدقيقة بينهما، وتشخيص موضع كل منهما هو من شأن العقل الإداري والقيادي الذي يحدد موضع كل منهما من القرار والموقف.

ومن دون ذلك قد يتحول القرار والموقف إلى حالة من الانتحار السياسي والإداري.

٩- الانضباط الأمني والسياسي:

لأمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام عناية فائقة وكبيرة بالأمن الاجتماعي والسياسي والعسكري.

وقد عاش عليه السلام ظروف فتنة الجمل وفتنة معاوية في الشام وفتنة الخوارج، وتحمل مرارة هذه الفتن.

ونجد نحن في التعليمات المأثورة عنة عليه السلام اهتماما كبيرا بالأمن.

وقد كان يقول عليه السلام، كما يروي الآمدي في غرر الحكم: (شر البلاد بلد لا أمن فيه ولا خصب)[1].

والامن من اهم غايات الحكم في منهاج الإمام عليه السلام ويروي عنه عليه السلام الشريف الرضي في نهج البلاغة:

«اللهم انك تعلم انه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان، ولا التماس شيء من فضول الدنيا، ولكن لنرد المعالم في دينك، ونظهر الاصلاح في بلادك، فيأمن المظلومون من عبادك، وتقام المعطلة من حدودك»[2].

وهذه هي غايات الحكم في نهج البلاغة:

تحكيم معالم دين الله وتثبيته في الوسط الاجتماعي.

والاصلاح في البلاد في كل الحقول الاجتماعية والثقافية والادارية والعمرانية والمالية والامنية.

وإقامة ما تعطل من حدود الله وأحكامه.

ويصف دور الجند في عهده إلى مالك الاشتر رضي الله عنه فيقول:

«والجنود بإذن الله حصون الرعية وزين الولاة وعز الدين، وسُبُل الامن وليس تقوم الرعية إلا بهم».

---

(١) غرر الحكم ٥٦٨٤

(٢) نهج البلاغة الخطبة ١٣١

ويقول عليه السلام في نفس العهد: «لا تدفعن صلحاً دعاك اليه عدوك ولله فيه رضى، فان في الصلح دعة لجنودك وراحة من همومك،وأمناً لبلادك»[1].

ومن خطاب له عليه السلام: «لابد للناس من امير برَّ او فاجر يعمل في امرته المؤمن، ويستمتع فيها الكافر، ويبلغ الله منها الاجل، ويجمع به الفيء، ويقاتل به العدو، ويؤمن به السبل، ويوخذ للضعيف من القوي، حتى يستريح بر،ويستراح من فاجر»[2].

وقد كان أميرالمؤمنين عليه السلام يأمر المؤمنين دائماً بالحذر الشديد من ناحية العدو،فيقول كما في رواية الآمدي في (غرر الحكم).

(كن من عدوك على أشد الحذر)[3].

ومن أفدح الاخطاء أن يامن الانسان عدوه. واذا علمنا اننا في ساحة صراع بصورة دائمة علمنا أن علينا أنْ نكون في حذر دائم.

ويقول عليه السلام كما في نهج البلاغة،في حسرة والم شديدين: «أنتمُ تكادون،ولا تكيدون، وتُنْتَقصُ أطرافكم فلا تمتعضون لاينام عنكم وأنتم في غفلة ساهون»[4].

---

(١) نهج البلاغة الكتاب ٥٣ (عهد الإمام عليه السلام إلى مالك الاشتر.

(٢) نهج البلاغة الخطبة٤٠ . راجع موسوعة الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ للشيخ محمد الرى شهري.

(٣) غرر الحكم ٩٤٩٩.

(٤) نهج البلاغة خطبة ٣٤.

وقد عاش اتباع اهل البيت عليهم السلام في أيام بني امية وبني العباس ظروفاً سياسية قاهرة، وتحديات أمنية صعبة... وقد كان شيعة أهل البيت عليهم السلام هم المعارضة القوية الواسعة في الساحة الإسلامية يومذاك. ولولا هذه المعارضة السياسية والثقافية لم يسلم من الإسلام شيء في أيام بني أمية وبني العباس، وممارساتهم في سفك الدماء والظلم والإفساد والإسراف وتغيير معالم دين الله عن مسير الوحي... وأما سائر المعارضات فقد أخلت الساحة لبني أمية وبني العباس، ولم يكن لها دور أساسي، كما فعلت الخوارج، فقد كانت مواقفهم الانفعالية غير العقلائية، سبباً للقضاء عليهم وإنهائهم تاريخياً.

ولذلك كان اتباع أهل البيت عليهم السلام يعيشون دائماً ظروفاً أمنية صعبة جداً من ناحية حكام بني أمية وبني العباس، وكانت هذه الظروف تهدد كيانهم الثقافي والسياسي والحركي بصورة جديّة.

ولولا التعليمات الأمنية الصادرة من أهل البيت عليهم السلام لشيعتهم لم يبق لشيعة أهل البيت عليهم السلام دور وأثر في التاريخ ولا في الحاضر.

وكانت هذه التعليمات تدعوهم إلى المحافظة على أسرار (جماعة أهل البيت وشيعتهم)، وتنظيماتهم ومراكز تواجدهم، وجبايتهم للأموال، وشبكة الوكلاء التي كانت تنظم علاقة شيعتهم بهم من مختلف البلاد يومذاك، وتنظم شبكة دعاة أهل البيت عليهم السلام في خراسان، وآسيا الوسطى، والمغرب العربي في إفريقيا... ولقد اتسعت شبكة

حركة اتباع أهل البيت عليهم السلام ونشاطهم اتساعاً كبيراً وشملت مساحات واسعة من أقاليم الفتح الإسلامي... ولم تكن السلطة يومذاك غافلة عما يجري على الأرض الإسلامية من نشاط واسع وحركة واسعة لاتباع أهل البيت عليهم السلام إلاّ أن السرية الصارمة، والتعليمات الأمنية الدقيقة كانت تحفظ شيعة أهل البيت عليهم السلام من فتك الحكومات المحلية والمركزية.

ولقد كانت تعليمات أهل البيت عليهم السلام في الانضباط والأمن دقيقة جداً، تمنع من إذاعة أسرار الجماعة، ومراكز تواجدهم، ووجوه نشاطهم، وتمنع من لغو الكلام والثرثرة حتى في أوساطهم، وتمنعهم من الطيش والانفعال في الحديث عن شيعة أهل البيت، لئلاّ يجرهم الانفعال والطيش والكلام اللامسؤول إلى إذاعة أسرار هذه الجماعة، عندما يأخذهم الاندفاع في التنويه بهم ونشاطهم، والاعتزاز بمواقعهم وعملهم وانجازاتهم.

فإن الاندفاع في الحديث عن الانجازات الحركية والثقافية والسياسية لاتباع أهل البيت عليهم السلام وانتشارهم في البلاد البعيدة كان يؤدي أحياناً إلى إذاعة أسرار وكلاء أهل البيت عليهم السلام ودعائهم وشبكاتهم التنظيمية.

وفيما يلي نذكر طائفة من هذه التعليمات:

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «امتحنوا شيعتنا عند مواقيت

الصلاة، كيف محافظتهم عليها، وإلى أسرارنا كيف حفظهم لها عند عدونا»[1].

هذان اختباران لشيعتهم: أداء الصلاة عند مواقيتها، والاهتمام بأمر الصلاة، وعدم التهاون فيها، ثم يأتي بعد ذلك مباشرة المسألة الأمنية.

الصلاة اولاً والأمن ثانياً، وهي ملاحظة جديرة بالاهتمام في موقع الأمن والانضباط في الجماعة.

وكان الإمام الصادق عليه السلام يعلن انزعاجه وغضبه على أولئك الذين يهتكون أسرار شيعة آل محمد صلى الله عليه وآله وشبكاتهم وقياداتهم وجباياتهم، ويعلن تشكيكه في صدقهم في الانتماء إلى هذه الجماعة.

فإن أبرز خصائص هذه الجماعة بعد الصلاة الانضباط الأمني. فكان عليه السلام يقول: «قوم يزعمون أني إمامهم، والله ما أنا لهم بإمام، كلما سترت ستراً هتكوه»[2].

وهؤلاء الناس غير المنضبطين أمنياً والذين كانوا يهتكون أسرار جماعة أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم قد يكونون من العناصر الأمنية المتسللة من الأمن الحكومي داخل الجماعة، وقد يكون هؤلاء من غلاة الشيعة الذين يحملون أهل البيت عليهم السلام ما لا يؤمنون به ولا يقولون، بل

---

(١) بحار الأنوار ٦٨/ ١٤٩ .

(٢) بحار الأنوار ٢ / ٨٠ .

ما يرفضونه رفضاً قاطعاً، هذه الشريحة المغالية كانت من مصائب أهل البيت عليهم السلام، كانوا يعلنون براءتهم منهم ومن أفكارهم ومن تصرفاتهم. . ويرفضونهم، ويبدو أن اهل البيت عليهم السلام كانوا يشكون شكا قوياً في صدقهم، ويعتقدون أنهم حالة اختراقية من عناصر بني أمية وبني العباس الأمنية تمكنوا بالوسائل الأمنية من اختراق الجماعة والدخول في تنظيماتهم وأشاعوا في صفوفهم أفكاراً من الغلو في اهل البيت عليهم السلام. كان أهل البيت يعلنون رفضهم لها ويحاربونها، ويلعنون أصحابها.

وعن الإمام زين العابدين عليه السلام: «وددت والله إني افتديت خصلتين في الشيعة ببعض لحم ساعدي: النزق، وقلة الكتمان»[1].

والنزق: الطيش والانفعال، وقلة الكتمان معروف.

وقد كان سبب النزق والانفعال: هو انتشار جماعات أهل البيت عليهم السلام في البلاد ونشاطهم وحركتهم السريّة، بعد مصرع الحسين عليه السلام في كربلاء، فكان الحديث يجري في أوساط هذه الجماعة بعد تلك المجازر عن توسع مساحة حركة شيعة أهل البيت عليهم السلام ووكلائهم ودعاتهم، وكان هذا الحديث لا يخفى عن أسماع عيون بني أمية، فيكشفون بذلك تنظيماتهم، ولا سيما في مواعيد الحج، حيث يجتمع زعماء الشيعة في مكة ومنى بالإمام زين العابدين عليه السلام، فيحذر عنه الإمام شيعته، كما يحذرهم من قلة الكتمان... وقد كانت الكلمة الواحدة اللامسؤولة كافية لإراقة

---

(١) الكافي ٢ / ٢٢١ .

دماء المؤمنين، وتخريب بيوتهم، وتشريدهم، وتمنى الإمام عليه السلام أن يفتدي هاتين الخصلتين من شيعته ببعض لحم ساعده.

ويقول الإمام الصادق عليه السلام لسليمان بن خالد: «يا سليمان، إنكم على دين من كتمه أعزه الله، ومن أذاعه أذلة الله»[1].

إن عزة هذا الدين وأهله في التقية والكتمان، ومذلة المؤمنين في إذاعة أسرارهم. فمن أراد عزّة هذه الجماعة فليبالغ في المحافظة على أسرارهم.

بهذه التعليمات الأمنية الصارمة اتسعت رقعة شيعة أهل البيت عليهم السلام في أقطار الفتوحات الإسلامية، وحملت معها ثقافة الوحي النقية الصافية التي حملها أهل البيت عليهم السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله جيلاً بعد جيل وكابراً بعد كابر. . ولم يتمكن حكام بني امية وبني العباس بما عرف عنهم المسلمون من الظلم، والإسراف، والإفساد، واللهو، والسكر، والفاحشة التي عرف بها بعضهم علانية، أن يغيروا مجرى هذا الدين عن صراط الوحي وتعليمات كتاب الله وسنة رسول الله عليهم السلام، بفضل هذه المرابطة على حدود الله من قبل أهل البيت عليهم السلام.

١٠ - الاتزان والوقار وضبط الأعصاب في الأزمات.

وهي حالة الاستقرار والثبات النفسي أزاء عومل الإثارة الخارجية القوية التي تواجه الإنسان.

---

(١) الكافي ٢ / ٢٢٦ .

وقد ورد في خطبة المتقين لأميرالمؤمنين عليه السلام في صفة المتقين: «في الزلازل وقور، وفي المكاره صبور، وفي الرخاء شكور».

والوقار في الزلازل، هو ان لا يهتزّ المؤمن بين يدي الحوادث التي تزلزل نفوس الناس، ويحافظ على ثباته واستقرار سلوكه النفسي ووقاره، مهما كانت هذه الزلازل.

وفي المكاره صبور، فلا يجزع ولا يغلبه الحزن.

وفي الرخاء شكور، لا يصيبه البطر والرئاء.

وليس معنى ذلك بلادة الحس تجاه الاحداث التي تحلُّ بالإنسان، فلا يتأثر بها، وإنما معناه الاستسلام الباطني الكامل لله تعالى، في كل ما ينزل عليه من جانب الله.

إنه حالة الاطمئنان الكامل إلى قضاء الله وقدره، وأنه تعالى لا يريد به في كل ما ينزل عليه من قضاء وقدر إلاّ خيراً، وقد ورد في الدعاء: «واجعل نفسي مطمئنة بقدرك، راضية بقضائك»، فلا يجزع، ولا يخاف، ولا يحزن، ولا يقلق حيث يجزع الناس ويخافون ويحزنون ويقلقون، وهو أمر آخر غير بلادة الحس، كما ذكرنا، بل يتمتع أصحابها برهافة الحس، بشكل كامل، ولكن سلوكهم النفسي يبقى مستقراً ثابتاً، لا تطرأ الانفعالات الحادة عليه، كما تصيب الناس.

ولا يتملكه الموقع والمنصب، ولا يوحشه لو جرّد من كل ما أوتي من المواقع والمناصب والأموال. لا يغتر بتحشد الناس حوله ولا

يوحشه انفراط الناس من حوله.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«لا يزيدني كثرة الناس حولي عزّة ولا تفرّقهم عنّي وحشة»[1].

وعن الإمام محمد الباقر عليه السلام لجابر بن يزيد الجعفي رضي الله عنه:

«واعلم بأنه لا تكون لنا ولياً حتى لو اجتمع عليك أهل مصرك، وقالوا انك رجل سوء لم يحزنك ذلك، أو قالوا أنك رجل صالح لم يسرك ذلك»[2].

١١- ترك الإنسان ما لا يعنيه

الإدارة اختصاص، واعتناء.

ومعنى الاختصاص ان يتفرغ لما يختص به من الأمور فلا يتدخل المسؤول الصحي في الشؤون العلمية والجامعية ولا يتدخل مدير الجامعة في شؤون المحروقات... لكل اختصاصه في دائرة عمله، وتتوزع الامور على المسؤولين حسب اختصاصهم.

ومعنى الاعتناء ان يهتم المسؤولون بما يعنيهم، وما ينبغي ان يدخل في دائرة اهتماماتهم، فإذا تجاوز المسؤولون دائرة اعتناءاتهم وانشغلوا بما لا يعنيهم، ولا ينفعهم في دنيا ولا آخرة، تحولت حياتهم

---

(١) نهج البلاغة/ الكتاب ٣٦.

(٢) تحف العقول: ٢٩٢.

مـن انتـاج إلى اسـتهلاك... إن الجهـد الإداري في دائـرة الاختـصاص والاعتناء انتاج، والجهد الذي يبذل خارج هذه الدائرة استهلاك وعـلى المسؤولين ان يحترزوا حالة الاستهلاك في جهودهم.

عن أمير المؤمنين عليه السلام للحارث الهمداني رحمه الله: «واقصر رأيك على ما يعنيك»[1]، فإذا قصر المسؤول رأيه وعمله فيما يعنيه ويهمّه (موضـع الاهتمام والاعتناء في عمله)، واحـترز عـما لا يعنيـه كـان رأيـه وعملـه منتجاً، وفي غير هذه الحالـة يكـون رأيـه وعملـه مـن اسـتهلاك الـرأي والجهد.

عـن رسـول الله صلى الله عليه وآله: «مـن حـسن إسـلام المـرء تـرك مـا لا يعنيه»[2].

إن الـدخول في مـا لا يعنـي الإنـسان محرقـة للعمـر والجهـد. . والإسلام يُحمّل الإنسان مسؤولية كل أيام عمره، وكل جهده، وشبابه. فليس له جهد فائض ولا عمـر فـائض يـضعه في غـير موضـع الحاجـة والضرورة.

عـن أبي ذر رحمه الله: قـال لي رسـول الله صلى الله عليه وآله: «ألا أعلمـك بعمـل خفيف على البدن، ثقيل في الميزان؟ قلت: بلى يا رسـول الله. قـال: هـو الصمت، وحسن الخلق، وترك ما لا يعنيك».

---

(١) نهج البلاغة/ عهد الإمام عليه السلام إلى مالك الأشتر.
(٢) المحجة البيضاء ٥ / ٢٠ .

افتعال الأحداث:

هناك مؤسسات إعلامية كبيرة عملها الرئيسي تشويش آراء الناس وافتعال الأحداث من خلال الضجيج الإعلامي.

هذه المؤسسات الإعلامية متخصصة في افتعال الأزمات لإشغال الرأي العام وإلهائه عن الاهتمامات الحقيقية للأمّة.

والأمة يجب ان تواجه هذه الأحداث المفتعلة بوعي وحذر وتتجنّب الدخول فيها حتى لا تنشغل عن قضاياها المصيرية.

وعلى القائد أن يحذّر الناس عن هذه القضايا التي لا تعنيهم لئلا تجد المؤسسات الإعلامية فرصة افتعال الأزمات والأحداث المفتعلة.

إنّ إقبال الناس والرأي العام على هذه الأزمات المفتعلة إمارة الفراغ الفكري والسياسي والثقافي في حياة الناس.

يقول تعالى في صفة عباد الرحمن: ﴿وَإِذا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِراماً﴾، إن عباد الرحمن يتميزون بالانشغال بالاهتمامات الحقيقية، ولا يشغلهم اللغو والبطر الفارغ من حولهم.

١٢ - التنظيم والتخطيط

من وصية أمير المؤمنين عليه السلام لولديه الحسن والحسين عليهما السلام:

«أوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي بتقوى الله ونظم أموركم».

التقوى والنظم عاملان أساسيان في سلامة المجتمع.

التقوى تحصّن المجتمع من الداخل، وتحفظ حدود الله سبحانه وتعالى بين الناس، والنظم يحفظ الأولويات في العمل، ويحفظ الجهد من الإهدار، ويؤمن الحاجات الأساسية في المجتمع، ويحقق الإنتاج الكثير بأقل الجهد والزمن، ويطور حركة المجتمع.

والنظم مسألة ضرورية لكل جوانب حياة الإنسان، حتى في حياته الشخصية، ولا تختص بالجانب الإداري من المجتمع... وعلى المسلم ان ينظم حياته ووقته بين العمل والعبادة والراحة والنوم والاهتمام بشؤون البيت والعائلة حتى تنتظم حياته الشخصية.

والتخطيط نحو من التنظيم للمشاريع الكبيرة قبل البدء بها. وعناصر التخطيط تحديد الغايات والأهداف ووضع البرامج العملية للوصول إلى الغايات والأهداف، ضمن مراحل من العمل.

والتخطيط الواقعي الدقيق يأخذ بنظر الاعتبار دور الزمان في إنجاز المشروع والإمكانات اللازمة له والعقبات التي تعيق العمل، والطريقة الصحيحة لمواجهة العقبات...

وهذا هو معنى التدبير والعلم والحيلة على لسان النصوص الشرعية.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: يا ابن مسعود إذا عملت عملاً، فاعمل بعلم وعقل، وإياك ان تعمل بغير تدبير، وعلم، فانه جلّ جلاله يقول:

«وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثاً»[1].

قالوا: إن امرأة حمقاء في مكة كانت تغزل الصوف ثم تنقض غزلها من بعد قوة انكاثاً.

وكذلك العمل إذا لم يكن عن تدبير وتخطيط يكون هذا شأنه، نقض بعد غزل، وهدم بعد بناء.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام : «إمارات الدول إنشاء الحيل»[2].

إن التدبير الصحيح والحيل الصحيحة تحفظ الدول وتبقيها.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أيضا: «التدبير قبل العمل يؤمنك من الندم»[3]. وإنما يندم الإنسان على جهده وعمله، حيث لا يسبق جهده وعمله التدبير والتخطيط الصحيح.

فإذا اعطى الإنسان المشروع اهتماماً في التخطيط والتدبير قبل العمل، بشكل موضوعي وعلمي، وفكّر في كل جوانب العمل لم تواجهه العقبات، إنما يفاجئ الإنسان بالعقبات إذا لم يخطط من قبل لمواجهتها، ولم يأخذها بنظر الاعتبار.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام :«من قعد عن حيلته أقامته الشدائد»[4].

---

(١) بحار الأنوار ٧٤/ ١١٠ .

(٢) ميزان الحكمة ٢ / ٥٥١ .

(٣) بحار الأنوار ٦٨/ ٣٣٨ .

(٤) غرر الحكم ٢ / ٢٠٦ .

ولـربما يغنـي التخطـيط الـصحيح عـن الإمكانـات والآليـات الكثيرة، وفي ذلك يـروى عـن أمير المـؤمنين عليه السلام: «التلطـف في الحيلـة أجدى من الوسيلة»[1].

وليس مـن عمـل ولا مـشروع إلاّ وقـد جعـل الله الـسبيل إليـه التخطيط والتدبير السليم والحيلة المناسبة.

يقول الإمام علي عليه السلام: «لكل شيء حيلة»[2].

١٣ - سعة الصدر:

وهو من اهم الآليات الإداريـة والقياديـة. وسـلام الله عـلى أبي الحسن أمير المؤمنين عليه السلام، كان يقول: «آلة الرئاسة سعة الصدر»[3].

وسعة الصدر تعني الصبر تجاه المشاكل والتحديات، والـسيطرة عـلى الـنفس في حـالات الانفعـال والغـضب، وفي حـالات الفـرح والتوفيق، والحلم، وهي حالة استيعاب للمشاكل والمتاعب والتحديات التي تواجه العاملين من ناحية الآخرين.

ومثل النفوس مثل الأواني الكبيرة التي لا تفيض ولا تضيق ولا تتلوث بما فيها، بعكس الأواني الضيقة، فإنها تفيض وتضيق وتنفعل بـما فيها، فإذا ألقى فيها ماء آسن، وقذر ظهر عليها... ويلقى نفـس القـذر،

---

(١) غرر الحكم ١ / ١٠٧ .

(٢) بحار الأنوار ٨/ ٤٤ .

(٣) نهج البلاغة/ حكمة ١٧٦ .

والماء الآسن في البحر والنهر، فلا يبقى منه أثر بعد لحظات، ويستهلكه ماء البحر... وكذلك شأن الصدور الواسعة تستهلك حالات الغضب والانتقام والانفعال، رغم وجود الإثارات القوية والشديدة.

وكما تقاوم الصدور الواسعة عومل الغضب والانتقام والانفعال، وتواجهها بالصبر والحلم، والتعقل، فلا يطفح عليها، ولا تتأثر بها، كذلك تقاوم عوامل الانفعال من النوع الآخر، وهي الانفعال تجاه التوفيق والنجاح والفوز، فلا يغلبهم الفرح والحبور، وما يجر إليه من البطر والرثاء عادة، فإن وعاء النفوس والصدور إذا اتسعت لا تضيق بهذا ولا ذاك، وتستوفي كلا منهما، وهاتان الخصلتان وجهان لحالة واحدة، وهي حالة شرح الصدر.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «لا تكن عند النعماء بطراً، ولا عند البأساء فشلاً»[1].

قد دخل رسول الله صلى الله عليه وآله مكة فاتحاً، ويكاد رأسه يمس قربوس فرسه، تواضعاً لله سبحانه وتعالى، لم ينفعل، ولم ينتقم، ولم يظهر عليه من أمارات الفتح العظيمة، غير الشكر لله، والتواضع لله، والاعتراف لله تعالى بالجميل فيما أعطاه.

وهذه الخصلة في نفوس المؤمنين هي التي يسميها القرآن بـ(شرح الصدر).

---

(١) نهج البلاغة/ الكتاب ٣٣ .

ويَمُنّ الله تعالى به على رسوله ﷺ في المراحل الاولى من الأمر بتبليغ الرسالة، فيقول تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ* وَوَضَعْنا عَنْكَ وِزْرَكَ* الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ[1] ﴾، والوزر: ثقل المسؤولية الذي ينقض ظهور المسؤولين...

ويمن الله تعالى على عبده ورسوله ﷺ في هذه الآيات بأمرين: شرح الصدر، وتخفيف ثقل المعاناة والعذاب والمسؤولية عنه، وهو ما تعبّر عنه الآية الكريمة بـ ﴿وَوَضَعْنا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾، وبينهما فرق.

وكان (شرح الصدر) اول ما طلبه كليم الله موسى بن عمران عليه السلام لما أمره الله تعالى أن يذهب إلى فرعون وقومه ليدعوهم إلى الله، فقال ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي[2] ﴾.

وفي هذه الآيات نجد نفس المطالب (شرح الصدر وتيسير الأمر).

وشرح الصدر هو أن يوسع الله تعالى وعاء صدور عباده لتستوعب المشاكل والتحديات بالصبر والحلم. والأمر الآخر تيسير الأمر ﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾: هو تخفيف ثقل العمل على المؤمنين العاملين.

---

(١) الشرح ١ - ٣.
(٢) طه / ٢٥ - ٢٨.

وفي مقابل (سعة الصدر): ضيق الصدر، وهي حالة من الضيق، وعدم الاستيعاب تنتاب الإنسان في السراء والضراء معاً، تجعله عرضة للانفعالات المختلفة كالبطر والرئاء، والتعجل، والانتقام، والتعب، واليأس، وضيق النفس والغضب... وهذه الحالات تسلب المسؤولين القدرة على إدارة الموقف، وهي حالة ضارة في إدارة الأعمال الكبيرة منها والصغيرة، حتى داخل العوائل، وفي الأسواق، وفي العلاقات الاجتماعية المحدودة. وقد روي في هذا المعنى عن أميرالمؤمنين عليه السلام: «إنما الحليم من إذا أوذي صبر، وإذا ظلم غفر»[1].

وأبلغ ما ورد عن أميرالمؤمنين عليه السلام في هذا المعنى هو ما أشرنا إليه سابقاً: «ولا تكن عند النعماء بطراً، ولا عند البأساء فشلا»[2].

وهذه الكلمة تحدد حالة سعة الصدر، والقدرة على الاحتواء والاستيعاب من بعدين: في البأساء والضراء، فلا يسرع إليه الفشل والعي والعجز والضعف في البأساء، ولا يسرع إليه البطر والسرور والحبور في النعماء.

١٤- إضاعة المسؤولية:

في الحديث: (إن تضييع المرء ما وُلِيَ، وتكلفه ما كفي لعجز ورأي متبّر).

---

(١) غرر الحكم ١/ ٢٦٨ .

(٢) نهج البلاغة/ كتاب ٣٣ .

من أفدح الخطأ أن يضيّع الإنسان ما تولاّه من المسؤولية بالأعمال والتواكل، ومن الخطأ ان يتكلّف الإنسان من المسؤوليات ما يكفيه الآخرون.

فإذا تحمّل الإنسان المسؤولية لابد أن يعطيها حقها من الجد والاهتمام، ويُعد لها كل ما يتطلبه الأمر، من حزم وعزم، حتى ينهض بها.

وإذا وجد من ينهض بها من هو خير منه وأقوى عليها فلا يطلبها... فقد كفاه الله تعالى أمرها.

وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه كان يقول لعبد الرحمن بن سُمُرة: «يا عبد الرحمن، لا تسأل الإمارة، فإنك إذا أعطيتها عن مسألة وكّلت فيها إلى نفسك، وإن اعطيتها من غير مسألة أعنت عليها»[1].

فإذا تحمل الإنسان المسؤولية أعطاها كل جهده ووقته وهمه حتى يؤديها حق الأداء، ولا يضيعها بالإهمال والتسويف والتواكل وسوء الإدارة والمراقبة.

١٥- إضاعة الفرصة:

عن الإمام محمد الباقر عليه السلام: «إياك والتسويف، فإنه بحر يغرق فيه الهلكى، وإياك والغفلة، فبها تكون قسوة القلوب»[2].

---

(١) سنن أبي داود/ ٢٩٢٩ .

(٢) تحف العقول: ٢٩٣ .

وعنه عليه السلام أيضاً: «لا مصيبة كحب البقاء، ولا ذلّ كذلّ الطمع، وإياك والتفريط عند إمكان الفرصة»[1].

عمر الإنسان مجموعة من الفرص... وعلى الإنسان إذا فتح الله تعالى له باب فرصة أن ينتهزها.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «من فتح له باب من الخير فلينتهزه، فإنه لا يدري متى يغلق عليه»[2].

ولا تدوم الفرصة طويلاً، ولا تنتظر الإنسان.

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «الفرصة تمر مرّ السحاب فانتهزوا فرص الخير»[3].

فإذا سنحت للإنسان الفرصة فعليه المبادرة قبل ان تفوت، وهذه الفرصة قد تكون في إقبال القلوب على الله تعالى في العبادة والدعاء والصلاة، وليس دائماً تقبل القلوب على الله، فإذا وجد الإنسان في نفسه إقبالاً على الدعاء والصلاة والذكر والاستغفار، فعليه أن يبادر إلى ذلك، قبل ان تفوته حالة الاقبال، وتغلبه حالة الانقباض.

كذلك في المشاريع الثقافية والسياسية والاقتصادية والتبليغية قد تمر على المؤمنين فرصة من فرص العمل لا تدوم ولا تتكرر، فعليهم

---

(١) تحف العقول: ٢٩٥ .

(٢) كنز العمال/ ٤٣١٣٤ .

(٣) نهج البلاغة/ الحكمة ٢١ .

المبادرة بانتهاز الفرصة قبل ان تمر الفرصة.

لقد عاش الإمام الباقر عليه السلام فترة ضعف بني أمية، وعاش الإمام الصادق عليه السلام فترة انتقال السلطة من بني أمية إلى بني العباس، فانتهزا هذه الفرصة أفضل الانتهاز ونشرا ثقافة أهل البيت عليهم السلام ومعارفهم نشراً واسعاً، وانتشرت منذ ذلك الحين معارف أهل البيت عليهم السلام في الأوساط العلمية الإسلامية انتشاراً واسعاً.

وللإمام علي عليه السلام كلمة في هذا الأمر ينبغي أن نتوقف عندها بعض الشيء: «من الخُرق المعاجلة قبل الإمكان، والأناة بعد الفرصة»[1].

من السفه والخطأ أن يستعجل الإنسان الأمور قبل أوانها، ومن السفه والخطأ أن يتوانى الإنسان عن المبادرة بعد حصول الفرصة. ذلك الاستعجال وهذه الاناة كل منهما خُرق وخطأ.

١٦- الأناة:

هي حالة غير (الحزم) إلاّ أنها تلتقي بالحزم.

وحقيقة الأناة: عدم التعجل.

وما يصيب الناس من التعجّل والاستعجال يكون في أمرين: في البدء بالعمل قبل أوانه، والبدء بالعمل قبل أوانه يفسد العمل، كمن

---

(١) نهج البلاغة/ الحكمة ٣٦٣ .

يزرع في غير الموسم، ولكل مشروع ولكل عمل ظرفه الخاص، فإذا دخل صاحبه في المشروع في غير ظرفه أفسد على نفسه المشروع ويحبط عمله.

وأكثر ما يصيب الإنسان الإحباط في الأعمال السياسية والثورية وفي حركة المعارضة السياسية وفي المشاريع الحركية لهذا السبب... فقد ينجح قائد في تحريك الشارع وإثارة الناس للاعتراض والثورة على نظام فاسد، ويتحرك معه الشارع، ويحقق ما يريد... وقد يتحرّك آخر فلا يستطيع ان يصنع شيئاً، ولا يحرك ساكناً في الشارع... والفرق الزمن والظرف... ولو تأنى الثاني ودرس الظروف الموضوعية للثورة لم يواجه الإحباط، فإن للثورة ضد أي نظام فاسد ظرفها الخاص، فإذا بدأ بها قبل ظرفها لم تنجح الثورة.

ولكن ليس معنى ذلك الخلود إلى الراحة، والاستكانة للنظام الفاسد، وإنما معنى ذلك ترحيل الاعتراض والثورة والحركة ضمن مراحل من العمل والإعداد والتحضير لها.

وهذه هي الآناة الاولى في العمل، انتظار الظرف الزمني المناسب، وترحيل العمل ضمن مراحل، وليس الركون والسكون والسكوت.

وعن هذه الأناة يقول أميرالمؤمنين عليه السلام - كما في الرواية -: (إياك والعجلة قبل أوانها)... ومعنى الكلمة: انتظار الوقت والظرف

المناسب للعمل وعدم التعجل في العمل، وترحيل العمل والتخطيط له ضمن مراحل.

والأناة الثانية: الأناة في جني الثمار... وكما يضر التعجل الأول، يضر التعجل الثاني... فمن يريد ان يقتطف الثمرة قبل أوانها يقتطفها فجّة، وعندئذ يصيبه الإحباط، ولو أنه تأنى في اقتطاف الثمرة إلى أوان نضجها لم يلحقه هذا الاحباط.

وعن هذه الأناة يقول أمير المؤمنين عليه السلام - كما في الرواية - :«من تأنى أصاب ما يتمنى»[1].

إن الذي يتأنى في إنجاز النتائج لوقتها يحققها بأفضل الأشكال.

ومهما يكن من أمر فإن للزمن وظروف العمل دوراً في البدء بالعمل وترحيله واستنجاز النتائج المطلوبة منه، ومن يتجاوز (الزمن) يواجه حالات الاحباط كثيراً... وسوف يأتي الحديث عن هذه النقطة تحت عنوان آخر.

١٧ - المؤمن لا تقهره المصائب:

مهما كان حجم المصيبة والخسارة التي تلحق المؤمنين في ساحات المواجهة والصراع والقتال... يبقى المؤمنون فوق الاحساس بالهزيمة، لا يغلبهم الوهن والحزن، يقول تعالى: ﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ

---

(١) الكلمتان اللتان رويناهما عن أمير المؤمنين عليه السلام لا تأبيان التفسير بكل من الاناتين.

الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ والعامل الذي يجعل المؤمنين فوق الوهن والحزن، ويحوّل الخسائر إلى أرباح والنكسة الميدانية في ساحة القتال إلى إحساس بالاستعلاء على العدو، هو الإيمان بالله تعالى ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

إن الحزن حالة طبيعية خلقها الله تعالى في نفس الإنسان، ولكن الحزن على الخسائر في النفوس والأموال لا ينبغي أن يؤدي إلى ضعف في موقف المؤمنين، ولا أن ينال من إحساسهم بالاستعلاء على العدو، ولا يتحول إلى إحساس بالهزيمة... وما يصح في قيادة المواقف يصح في عامة الأعمال بدرجات مختلفة، فإن تماسك القائد في الظروف الصعبة وثقته بالله تعالى، وإحساسه بالاستعلاء على العدو، يثبت جمهور المؤمنين على أرض المعركة، كما أن تماسك المدراء والمسؤولين في مواجهة التحديات والمشاكل يثبّت عامة الناس ويبعث في نفوسهم القوة والطمأنينة.

عن أمير المؤمنين عليه السلام في خصال المتقين:

«في الزلازل وقور، وفي المكارة صبور».

ويقول عليه السلام في نفس السياق في صفة المتقين:

«نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالتي نزلت في الرخاء».

يعني ان المتقين تنزل أنفسهم منهم في شدة الابتلاء والمحن كما تنزل نفوس الناس من الناس في حالة الرخاء، بحالة سكينة واطمئنان،

لا يشوبها قلق وارتباك واضطراب،كذلك تنزل نفوس المتقين من المتقين في البلاء والشدة، فتراهم فيها مطمئنين ساكنين، لا ينتابهم فيها هلع وقلق وارتباك واضطراب.

كذلك المؤمنون لا يقهرهم البلاء ولا تهزهم المحن، يتعاملون مع الفتن والاحداث الصعبة من موقع الفوقية والاستعلاء واثقين بنصر الله تعالى ومعيّته لهم.

١٨ - البشاشة والبشر:

عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته للأشتر (رضوان الله عليه):

«واخفض للرعية جناحك، وابسط لهم وجهك».

وفي وصيته لعبد الله بن عباس، وكان عامله على البصرة:

«سع الناس بوجهك ومجلسك وحكمك».

إنّ على المسؤولين والحكام أن لا يحجبوا الناس عن أنفسهم أولاً، ولا يجعلوا بينهم وبين الناس حجاباً. وإذا التقوا بالناس يقابلونهم بالبشر، والبشاشة وانبساط الوجه، ولا يقابلون الناس بوجوه منقبضة.

والإمام يوصي الأشتر رضي الله عنه في وصيته: أن يخفض للرعية جناحه، فلا يستعلي عليهم، ويبسط لهم وجهه، فلا يقابلهم بالانقباض.

وفي وصيته لعبد الله بن عباس يوصيه أن يسع الناس في ثلاث: في مجلسه، ووجهه، وحكمه، فلا يضيق مجلسه بالعامة من الناس (الجمهور) ولا ينتقي لمجلسه النخبة، وإنما يفتح مجلسه لعامة الناس، في

مواعيد منتظمة، وهذه هي التوسعة الأولى.

والتوسعة الثانية أن يسعهم بوجهه، والتوسعة بالوجه من أفضل أنواع التوسعة، فلا يقبض وجهه في لقائهم، ولا يشعر الناس بالتضايق منهم، والوجوه تنطق للناس بالتوسعة والتضييق.

وإذا وجد المسؤول من أسباب الانقباض شيئاً في نفسه فعليه أن يحفظ الانقباض والحزن لنفسه، ويتعلم أن يظهر للناس البشر والبشاشة، ويحتفظ لنفسه بالحزن والهموم.

يقول الإمام علي عليه السلام في خطبة المتقين المعروفة في وصف المتقين: «حزنه في قلبه وبشره على وجهه».

وفي كلمة أخرى مروية عنه عليه السلام في هذا السياق: «إن بشر المؤمن في وجهه، وقوته في دينه، وحزنه في قلبه»[1].

والتوسعة الثالثة في الحكم، فلا يضيق حكمه عن عامة الناس وجمهورهم، وإنما يعم عدله وحكمه الجميع، ويؤثر رضا العامة على رضا الخاصة في الحق... وهذا هو كلام الإمام عليه السلام: «سع الناس بوجهك ومجلسك وحكمك».

١٩- الرأي بين التسرع والعجب:

الرأي من ضرورات الإدارة، والمدير الذي لا يملك الرأي في

---

(١) غرر الحكم/ ٣٠٦١.

دائرة مسؤوليته لا يستطيع ان يمارس الدور الذي يقع على عهدته.

ولكن الرأي يتعرض لآفتين كبيرتين، يجب أن يبرأ عنهما المسؤول ويتخلص منهما:

الآفة الأولى: العجب، فإن العجب يفسد على الإنسان رأيه، ويفقده الرشد والصواب... ولعل من أسباب العجب بطانته الذين يقربون له ذلك ويحسّنون له مواقع رأيه، ولا يجرحونه بالنقد.

وهذه الحالة تفسد على المسؤولين رأيهم، وتوقعهم في تخبط كبير. عن أميرالمؤمنين عليه السلام: «رضاك عن نفسك من فساد عقلك»[1].

وعنه عليه السلام أيضاً: «من أُعجب بحسن حالته قصّر عن حسن حيلته»[2]. إن العجب يفسد على الإنسان الرأي والحيلة. وأكثر عوامل العجب لدى المسؤولين، البطانة المغالية والمتملقة.

وكما يجب على المسؤول أن يتوقّى العجب برأيه، يجب عليه أن يستمع إلى الرأي الآخر، ويحترمه، ويقلبه، فلربما شخص تزدريه العيون، يقدم إليه رأياً جديراً بالاهتمام والتأمل.

روي عن أميرالمؤمنين عليه السلام: «لا يصغرنّ عندك الرأي الخطير إذا أتاك به الرجل الحقير»[3].

---

(١) غرر الحكم ١ / ٣٨٢.
(٢) غرر الحكم ٢ / ٢٠٩.
(٣) غرر الحكم ٢ / ٣٢٦.

والآفة الأخرى للرأي، التعجل والتسرع في الرأي، وفي مقابل التعجل والتسرع، الحزم، وهو التروي والتأمل قبل اتخاذ الرأي والقرار.

وبقدر ما يفسد التعجل والتسرع الرأي على صاحبه فإن الحزم يصلح الرأي والقرار ويحصنها. ولكن على أن لا يؤدي الحزم والتروي إلى تعطيل القرار، فإنه من الضعف والعجز... وقد قال تعالى: ﴿فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾.

والعزم لا يكون إلاّ بالحزم، فإذا تم للإنسان كان عليه أن يتوكل على الله ويمضي في عمله. ولا يسمح لنفسه التردد في القرار بعد أن اكتملت لديه أسبابه.

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا هبت أمراً فقع فيه، فإن توقّيه أعظم مما تخاف منه»[1].

٢٠- دور الزمان في الإدارة الصالحة:

الإدارة الصالحة تأخذ الزمان بنظر الاعتبار... والزمان ليس وعاءً للتاريخ والأحداث والاعمال فقط، وإنما هو من مقومات التاريخ والأعمال والأحداث أيضاً... فلرب مشروع يفشل في زمان فشلاً ذريعاً، ونفس المشروع بنفس المواصفات ينجح في زمان آخر، والفارق الزمان.

---

(١) بحار الأنوار ٦٨/ ٣٦٢.

ولذلك نعتقد أن تشخيص الزمان من العناصر والشروط المقومة للإدارة الصالحة.

والزمان ثلاثة: الماضي، والحاضر، والمستقبل... ولكل منها دور في الإدارة الصالحة.

إن الماضي لا يجوز إلغاؤه، بأي نحو في أي مشروع ثقافي، أو سياسي، أو حركي، أو تجاري، أو عمراني، أو جهادي وغير ذلك.

فقد يحمل الماضي من عوامل الإخفاق ما يؤدي إلى إحباط المشروع في الحال الحاضر، في نفوس الناس... وقد يحمل الماضي من الأخطاء ما يجب على الإدارة الصالحة تصحيحها قبل البدء بالعمل في الحال الحاضر.

إن الحوادث المختلفة المسرّة والمؤسفة والأخطاء والإخفاقات، والنجاحات التي تمت في الماضي تلقي بظلالها على الحاضر لا محالة.

وعليه، يجب ان نأخذ الماضي والتاريخ بنظر الاعتبار في أي مشروع حاضر أو مستقبل.

اما معرفة الحاضر (الحال) فله دور أساسي في نجاح العمل وفشله... والقيادة الصالحة الناجحة هي التي تضع المشاريع في الظرف المناسب، والوعاء الزمني المكافئ للعمل... فلرب مشروع يخفق في زمان، وينجح في زمان بنفس المقومات، وليس الفارق المشروع فهو واحد، وإنما الفارق الزمان... فإن الزمان قد يكون من عوامل

الإخفاق، وقد يكون من عوامل الإنجاح... والمدير الناجح هو الذي يشخص الظرف الصالح لأداء العمل.

وقد ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس»[1].

والمعرفة الدقيقة للزمان وتشخيص الظرف الصالح للعمل نحو من البصيرة الإدارية، والبصر بالإحداث.

وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «على العاقل ان يكون بصيراً بزمانه، مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه»[2].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «حسب المرء من عرفانه علمه بزمانه»[3].

وأما المستقبل، فهو امتداد للحاضر... وإذا كان وعاء الحاضر صالحاً لإدارة المشروع، فقد يحمل وعاء المستقبل من عوامل الإخفاق ما يغيب عن صاحبه... وقد يقبل الناس على مشروع ثقافي أو سياسي أو إنساني، أو اقتصادي، ثم يصيب الناس في المستقبل إرهاق وتعب، ويؤدي ذلك إلى إحباط المشروع، وعامل الإحباط يكمن في المستقبل، وليس في الحاضر ولا في الماضي، والإدارة الناجحة يجب ان تأخذ بنظر

---

(١) تحف العقول: ٣٥٦ .

(٢) الخصال للشيخ الصدوق/ ٥٢٥ .

(٣) بحار الأنوار ٧٨ / ٨٠ .

الاعتبار الاستعداد لعوامل الإحباط والإخفاق في المسقبل من الآن.

روي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في هذا المعنى: «من عرف الأيام لم يغفل عن الاستعداد»[1].

إن الاستعداد لعوامل الإحباط والإخفاق التي يتضمنها المستقبل يجب ان يكون من الآن. وللزمان دور واضح في تغيير المناهج والأساليب.

صحيح ان الشريعة مجموعة من الثوابت التي لا تتبدل ولا تتغير في الظروف الزمانية المختلفة... ولكن ذلك في ثوابت الشريعة وحدود الله، وفرائض الدين، أما الأساليب والوسائل والمناهج التي لا تدخل في ضمن الثوابت والحدود الشرعية، فهي قابلة للاختلاف والتغيير، تبعاً للظروف والزمان.

وهذه نقطة دقيقة، ومن الخطأ ان نسحب نظام التغيير والاختلاف على ثوابت الشريعة، ومن غير الصحيح ان نثبت في جملة من الوسائل والمناهج، كالمناهج والوسائل التربوية مثلا، على نهج ثابت.

وقد روي في هذا المعنى عن أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام: «لا تقسروا أولادكم على آدابكم، فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم».

---

(١) الكافي ٨ / ٢٣ .

إن للزمان دوراً لا محالة، في اختلاف أساليب التربية والتعليم، ومناهجهما.

إن عناصر التربية والتعليم تبقى هي هي في كل العصور من الثوابت التي لا تتغير، ولكن الأساليب تختلف... ومن الخطأ أن نقسر أبناءنا وبناتنا، على نفس الأساليب التي كان يتعامل بها معنا أباؤنا وامهاتنا.

عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «من أمن الزمان خانه، ومن تعظم عليه أهانه، ومن ترغّم عليه أرغمه، ومن لجأ إليه أسلمه، وليس كل من رمى أصاب، وإذا تغيّر السلطان تغير الزمان»[1].

وحرّي بنا ان نطيل الوقوف عند هذه الكلمة العلوية القيمة، التي تحمل معاني ومعارف جمّة، لولا أن الوقت والفرصة لا تسعنا.

في هذه الكلمة نتوقف عند مجموعة من النقاط يشير إليها الإمام علي عليه السلام:

من أمن الزمان خانه: يخطأ الإنسان خطأ فادحاً إذا تصور ان الزمان هو الزمان، لا فرق، فيُقْدِمُ على عمل، نجح فيه غيره، فيقتحمه من غير احتساب عامل الزمان، فيخونه الزمان، ويفشل.

يقول علي عليه السلام في هذا المعنى: «من وثق بالزمان صُرِع»[2].

---

(١) بحار الأنوار ٧٧ / ٢١٣.

(٢) عيون أخبار الرضا ٢ / ٥٤ - ٢٠٤.

كمن يجد غيره يمشي على ماء ضحل ويعبره، فإذا وجد ماءً تصور ان الماء هو الماء فيقتحمه فيخونه الماء، فيقع في وحل وغرق... كذلك الزمان.

إن الزمان يختلف عن الزمان، والزمان ذو غير، ومن أمن غير الزمان خانه، فيسقط ويفشل، ولابد قبل أي عمل من دراسة حال الزمان، الذي يقدم فيه الإنسان على العمل.

ثم يقول عليه السلام: ومن تعظّم عليه أهانه. وليس لأحد ان يحتقر الزمان، ويتعظم عليه، ويجازف، ويقدم، من غير احتساب دور الزمان في العمل، والذي يجازف، ويقدم، مستهيناً بالزمان يهينه الزمان، ويحتقره، ويتجاوزه... يقول الإمام علي عليه السلام في هذا المعنى: «من كابر الزمان عطب»[1].

ثم يقول عليه السلام: ومن ترغّم عليه أرغمه. وكما ليس للإنسان ان يتعظم على الزمان ويحتقره، ويتجاوزه، كذلك ليس له ان يرغم الزمان، على ما لا يستجيب له... فإن الزمان يحكم الإنسان، ولا يحكم الإنسان الزمان، ومن حاول ان ينفلت من قبضة الزمان، بإرغام الزمان على ما لا يستجيب له، أرغمه الزمان...

إن حتمية الزمان من الحتميات القاهرة في التاريخ.

---

(١) تحف العقول: ٨٥ .

يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام في هذا المعنى: «من عاند الزمان أرغمه»[1].

نعم، من الممكن ان يعالج الإنسان الزمان، فيجعل من الزمان الشؤم زماناً مباركاً، ومن الزمان الصعب زماناً سهلاً، ومن عصر الدكتاتورية والاستبداد السياسي، عصراً للثورة على الظالمين، ولكن هذا علاج وتوجيه وتعديل للزمان، وليس إرغاماً ولا احتقاراً للزمان... والعلاج والتعديل غير المكابرة.

ولكل من مكابرة الزمان والتحكم عليه وعلاجه، احكام وظروف خاصة ليس موضعه الآن.

ثم يقول عليه السلام - كما في الرواية - : (ومن لجأ إليه أسلمه).

ليس معنى ما تقدم من النهي عن ائتمان الزمان ومكابرته ومراغمته، أن يلقي الإنسان نفسه في أحضان الزمان ويستسلم له، ويأخذ بمقتضيات الزمان، مهما كان، خيراً أو شراً، ضعفاً أو قوة، فإن هذا السلوك المتلون مع الزمان هو الحالة الانتهازية التي ينهى عنها الإسلام. إن علينا ان نفهم الزمان ونعالجه ولا نأتمنه ولا نكابره ولا نراغمه، وعلينا أيضاً ان نحذر من ركوب الزمان، وأن نتطبّع بمتطلبات الزمان، فإن من توحي إليه نفسه ان يركب موجة الزمان، ويعمل بمقتضاه، مدحاً أو ذماً، إيماناً أو كفراً، هزيمة أو مقاومة، حباً أو بغضاً،

---

(١) غرر الحكم/ ٩٠٥٤ .

طاعة أو تمرداً... أقول: إن من يستسلم لحكم الزمان، ويركب الموجة، يسلمه الزمان إلى الموجة، ويتحول الإنسان عندئذٍ من عامل مؤثر في التاريخ إلى خشبة عائمة على موجة الزمان... وفي هذا المعنى يقول الإمام علي عليه السلام: «من عاند الزمان أرغمه، ومن استسلم إليه لم يسلم»[1].

وبين معاندة الزمان ومراغمته، وبين الاستسلام المذل للزمان، يجب ان يقف المؤمن موقفاً وسطاً في التاريخ والمجتمع، وهو موقف دقيق، لا يسعنا الوقت لشرحه أكثر من هذا الحد.

ثم يقول عليه السلام: وليس كل من رمى أصاب.

فقد يرمي احد ويصيب، وقد يرمي آخر فيخطئ، وليس الفرق في الرمي والاستهداف، وإنما الفرق في الزمان. فقد يرمي أحد في زمان، فتصيب الرمية، ويرمي آخر في زمان آخر، فلا تصيب الرمية.

إن إهمال عامل الزمان من أكبر أخطاء الناس ومن لا تصيب رميته، لا يعاتب الزمان، ولا يعاتب حظه، فليس القضية في الحظ ولا في الزمان، وإنما عليه ان يراجع حساباته في تشخيص الزمان، حتى يعرف متى يرمي ومتى يكف عن الرمي؟ ومتى يتحرك ومتى يكف عن الحركة؟ ومتى يقوم ومتى يقعد؟ ومتى يهتف ومتى يهمس؟ ومتى يقاتل ومتى يسالم؟... ومتى ومتى؟؟

---

(١) غرر الحكم / ٩٠٥٤ .

إن الإجابة عن هذه الأسئلة جميعاً تندرج في تشخيص الزمان ومعرفته. فإذا رمى، في غير وقت الرمي، فلم تصب رميته فلا يعاتب الزمان، وإنما يعاتب نفسه، لأنه لم يعرف الزمان، فإن الزمان لا يتقبل عتاب من يعاتبه.

يقول علي عليه السلام: «الزمان يخون صاحبه، ولا يستعتب لمن عاتبه»[1]... اعرف زمانك جيداً، ثم اعمل بما تمليه هذه المعرفة من العلاج والتخطيط، حتى لا تحتاج إلى عتاب الزمان، فيرفض الزمان منك العتاب.

ثم يقول عليه السلام: «وإذا تغيّر السلطان تغير الزمان».

إن بين الزمان والسلطان علاقة جدلية حميمة، يغير الزمان السلطان، ويغير السلطان الزمان، فكم من زمان صالح أفسده السلطان، وكم من سلطان صالح، أضعفه الزمان... وقد كان صاحب هذه الكلمة (صلوات الله عليه) حاكماً صالحاً وإماماً معصوماً، قمة في العدل والعقل والتدبير والحزم والعزم والقيادة الحكيمة، ولكن زمانه جعله في مواجهة ابن أبي سفيان... يقول عليه السلام لمعاوية: «فيا عجباً للدهر إذ صرتَ يقرن بي من لم يَسْع بقدمي ولم تكن له سابقتي».

ولو كان يأتي في زمن غير ذلك الزمان لتغير وجه المجتمع الإسلامي ووجه التاريخ الإسلامي، ولكان للتاريخ الاسلامي

---

(١) غرر الحكم/ ٢٠٩٣.

وللحضارة الإسلامية في الماضي والحاضر والمستقبل شأن غير هذا الشأن، ولكنه عليه السلام تولى الحكم بعد ان عمل من كان قبله من الحكام في تأسيس حكومة بني أمية في الشام وتوطيد أركانه، منذ خلافة الخليفة الثاني الذي ولّى معاوية ومن قبله أخاه يزيد بن أبي سفيان على أقليم الشام كله، فأحكم بنو أمية أركان ملكهم في الشام، فلما تولّى الإمام علي عليه السلام الحكم حكمه الزمان، ولم يتمكن ان يزيل بني أمية من الحكم، وتغير وجه التاريخ الإسلامي منذ ذلك الحين على أيدي بني امية، ثم جاء بنو العباس بنفس المنهاج في الظلم والإسراف وانتهاك حرمات الله تعالى.

فلم يكن في الإمام علي عليه السلام وابنه الحسن ضعف أو عجز أو قصور، وإنما حكمهم الزمان الذي يقهر الناس، ولا يقهر، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

٢١- مبدأ توزيع المسؤوليات:

يقول أميرالمؤمنين عليه السلام في بعض رسائله إلى عماله:

«واجعل لكل إنسان من خدمك عملاً تأخذ به، فإنه أحرى ألا يتواكلوا في خدمتك»[1].

هذه الكلمة تشير إلى مبدأ توزيع المسؤوليات بين المسؤولين،

---

(١) نهج البلاغة/ الكتاب ٣١ .

وهو مبدأ هام في الإدارة، يمكّن المسؤول من محاسبة كل واحد منهم على ما يقع تحت يده من المسؤوليات، ويمنعهم من التواكل.

بخلاف التداخل في المسؤوليات فإنه يفسح المجال للمسؤولين في التواكل فيما بينهم، واعتماد كل منهم على غيره، ويقلل من فرص المسائلة والمحاسبة من ناحية المسؤول الذي يتولى أمورهم.

٢٢- معايير الاختيار الصحيح:

اختيار الشخص الصالح للموقع المناسب من أهم المسائل الإدارية... فقد يختار المسؤول إنساناً صالحاً كفوءاً لموقع من المواقع، فيكون سبباً لإنجاح ذلك الموقع وذلك العمل، وقد يقع اختياره على عنصر غير صالح لموقع من المواقع، فيؤدي إلى إفشال الموقع، وإفشال المشروع الذي اختاره له، وأهم العناصر والمعايير التي تدخل في الاختيار الصحيح هي المعرفة والأمانة والكفاءة.

ولقد أشارت ابنة شعيب عليه السلام على أبيها عندما سقى لهن موسى عليه السلام أن يستأجره، وقالت في ذلك: «إن خير من استأجرت القوي الأمين»، فوصفت موسى بن عمران عليه السلام بالأمانة والقوة، وهما عنصران أساسيان في الاختيار الصالح[1].

---

(١) لم نتأكد من ان الشخص الصالح الذي استأجر موسى عليه السلام ، وزوجة ابنته هو شعيب عليه السلام ، ولكن هذا هو المعروف.

وعندما رشح يوسف عليه السلام نفسه لأمانة خزائن مصر، ذكر لتوجيه هذا الترشيح كلمتين: ﴿قالَ اجْعَلْنِي عَلى خَزائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾، يوسف/ ٥٥ . وهاتان الكلمتان هما: (الحفظ) و(العلم).

و(الحفظ) بمعنى الأمانة، و(العلم) بمعنى المعرفة.

فهذه ثلاث نقاط في معايير الاختيار الأصلح: المعرفة، والأمانة، والقوة (الكفاءة).

ولأميرالمؤمنين عليه السلام في كتابه إلى مالك الأشتر (رضوان الله عليه) كلمة جامعة في التعريف بالكفاءة والقوة، ننقلها.

يقول عليه السلام: «واجعل لرأس كل أمر من أمورك رأساً منهم لا يقهره كبيرها ولا يتشتت عليه كثيرها».

وهو كلام دقيق في التعريف بكفاءة المسؤول وقوته، لا تغلبه الأمور الصعبة الكبيرة التي تواجه المسؤولين، ويبقى هو الأقوى في أي مواجهة ومقابلة للمشاكل والتحديات التي تواجهه.

وفي كلمة أخرى له عليه السلام في التعريف بالمتقين: «في الزلازل وقور».

وهذه الخصلة من خصائص المدير القوي الكفوء لا يتميز أمام التحديات الصعبة.

والخصلة الأخرى في تحديد الكفاءة القوة في المسؤولين

(ولا يتشتت عليه كثيرها) كما لا يغلبه كبيرها لا يشتّته كثيرها... إن المسؤول الذي تتشتت عليه الأمور، لا يتمكن ان يجمعها ويهيمن عليها ويديرها وينظمها... إن الإدارة القوة هي تجميع شتات الامور وتنظيمها وترتيبها بحسب الاولويات والاستحقاقات.

وهذه الخصال أيضاً من خصال القوة، كما الخصلة المتقدمة.

ونقرأ في كتاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى مالك الأشتر (رضوان الله عليه)، عندما ولاه مصر، معايير أخرى في اختيار الصالح نذكرها بإيجاز.

١- التجربة والخبرة في العمل الذي يعهد إليه.

يقول عليه السلام: «وتوخّ منهم أهل التجربة»[١].

٢- الاختيار من البيوتات الصالحة[٢].

٣- القدم في الإسلام.

ويعلل الإمام ذلك بقوله: «فإنهم أكرم أخلاقاً وأصحّ أعراضاً، وأقلّ في المطامع إشرافاً، وأبلغ في عواقب الأمور نظراً»[٣]... إن تاريخ الإنسان جزء لا يتجزأ من كيانه، فإذا كان تاريخه مشرقاً نظيفاً معروفاً بالصلاح أمكن الاعتماد عليه والوثوق به.

---

(١) نهج البلاغة/ الكتاب ٥٣ .

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

٤ - النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين.

يقول الإمام عليه السلام في نفس الكتاب في معايير اختيار الصالح.

«فولّ من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله ولإمامك»[١].

هؤلاء ينصحون لله، ورسوله وأئمة المسلمين فيما يعملون وما يقولون، أما أولئك الذين يبتغون من المواقع زهرة الحياة الدنيا ومتاعها، فلا يصلحون لهذه المواقع ولا ينصحون.

٥ - القيم وفضائل الأخلاق، وهي بلا شك من عناصر الاختيار الصالح... أما الذين يفقدون فضائل الأخلاق، ويتعاملون مع الناس بفظاظة، ومع مواقع المسؤولية من منطلق المصالح الشخصية، والبطر والرئاء، فلا يصلحون لتحمل أية مسؤولية من مسؤوليات المسلمين.

يقول أميرالمؤمنين عليه السلام في نفس الكتاب: «ثم انظر في حال كتابك، فولّ على أمورهم خيرهم، واخصص رسائلك التي تدخل فيها مكائدك، وأسرارك بأجمعهم لوجوه صالح الاخلاق»[٢].

٦ - الامتحان ولابد ان يسبق الاختيار الامتحان.

فلا يختار المسؤولون شخصاً لمهمة قبل أن يعرفوا كفاءته لإدارة ذلك العمل بالامتحان.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

يقول علي عليه السلام في نفس الكتاب: «ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختباراً، ولا تولّهم محاباة ولا أثرة»[1]. وهو الأسلوب الصحيح للاختيار الأصلح.

وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام في هذا المعنى: «الطمأنينة إلى أحد قبل الاختبار له عجز»[2].

٢٣- الاهتمامات الكبيرة والهمم العالية:

المشاريع الكبيرة لا ينهض بها إلاّ أصحاب الهمم العالية. وليس معنى الاهتمامات الكبيرة والهمم العالية الجنوح إلى المثاليات في العمل... ولا تنافي الاهتمامات الكبيرة أن يكون أصحابها واقعيين في مشاريعهم... وإنما الفارق بين الاعمال المحدودة والمشاريع الكبيرة هم أصحابها...

فالذين آتاهم الله الهمم العالية ينهضون بالأعمال العظيمة، في العمر المحدود الذي يعيشه الآخرون وبالإمكانات المحدودة التي يملكها الآخرون.

عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «خير الهمم أعلاها»[3].

---

(١) نهج البلاغة/ الكتاب ٥٣ .
(٢) نهج البلاغة/ حكمة ٣٨٤ .
(٣) غرر الحكم ١ / ٣٤٩ .

وقيمة الإنسان بمقدار همته وطموحه.

عن علي عليه السلام: «قدر الرجل على قدر همته»[1].

والهمم تكلّف أصحابها لا محالة ضروباً من الجهد والتعب والصبر، يتحملها أصحابها في مسيرة حياتهم، وهذه الهموم هي ضريبة الهمم.

عن علي عليه السلام: «على قدر الهمم تكون الهموم»[2].

٢٤- بين المسؤولية والرعاية:

يكتب أمير المؤمنين علي عليه السلام إلى أحد عماله الذين تجاوز حدود صلاحياته في عمله:

«وأنت مسترعى لمن فوقك، ليس لك ان تفتات في رعية، ولا تخاطر إلاّ بوثيقة»[3].

إن خطّ المسؤولية مسلسل من حلقات المسؤولية والرعاية، يربط المسؤول والحاكم في الخط الصاعد بمن يتولى أمره، ويكون هو مسترعى له، وفي الخط النازل يكون مسؤولا عمن يتولى هو أمره يحاسبه ويسائله.

فهو راعٍ لمن دونه ومسترعى لمن فوقه، مسؤول عن المواقع

---

(١) نهج البلاغة/ حكمة ٤٧.

(٢) غرر الحكم ٢ / ٢٨.

(٣) نهج البلاغة/ الكتاب ٥.

(النازلة) التي تقع في حوزة مسؤوليته، وفي نفس الوقت هو مسؤول ومحاسب من قبل من يكون فوقه... وعليه أن يتقبل السؤال والمحاسبة من قبل المواقع الفوقية التي تقع أعلى منه في مسلسل الرعاية والمسؤولية... كما عليه محاسبة من يقع دونه من مواقع المسؤولية.

ولا يصح له ان يحاسب ويسائل من دونه ثم لا يقبل السؤال والحساب منه ممن فوقه.

والمسؤولية كلها سؤال وحساب، يسائل من دونه في مسلسل المسؤولية، ويتقبل سؤال من فوقه في هذا المسلسل.

وهذا هو التصور الاسلامي الصحيح لمواقع المسؤولية.

إن مواقع المسؤولية مرتبطة بالسؤال والجواب والرعاية، والاسترعاء من الطرفين... ويجري هذا على كل مواقع المسؤولية حتى آخر هذه المواقع وأرفعها وهو ولاية الأمر العامة، فإن موقع الولاية العامة مسترعى من جانب الله تعالى، وولّي الأمر يخضع للسؤال والجواب من جانب الله، كما يطالب من دونه من المواقع بالجواب والحساب.

إن مواقع المسؤولية مرتبطة من الطرفين بالمسؤولية والرعاية، على كل المستويات... وإذا عرف المسؤولون في النظام الإداري في الإسلام هذه الشبكة المترابطة من المسؤولية والرعاية، في كل المواقع، من دون استثناء، وارتباط هذه الشبكة العظيمة في آخر حلقاته بالله

تعالى، إذا عـرف أصـحاب المواقـع هـذا الـترابط العظـيم بـين مواقـع المسؤولية على هذه الشبكة، وارتباطها جميعاً بالله انتظم أمر المسؤولية في المجتمع.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام لمالك الأشتر (رضوان الله عليه):

«فاعطهم من عفـوك وصـفحك مثـل الـذي تحـب وتـرضى أن يعطيـك الله مـن عفـوه وصـفحه، فإنـك فـوقهم، وولى الامـر عليـك فوقك،والله فوق من ولاّك».

***

الفهرس

مقدمة ٧

الفصل الأول
التعليمات والتوصيات الإدارية والقيادية الصادرة من أمير المؤمنين عليه السلام إلى عماله وولاته في البلاد

الثقافة الإدارية والقيادية ١١
١ - كتاب أمير المؤمنين عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر رحمه الله ١٢
٢ - كتاب أمير المؤمنين عليه السلام إلى أهل مصر ١٥
نظام العلاقات الثلاثة في ولاية الحاكم ١٦
١ - في العلاقة بالله ١٧
٢ - في العلاقة بنفسه ١٧
٣ - العلاقة بالناس ١٩
التعريف بالناس ١٩
طبائع الناس ٢٠

التعامل من موقع الرحمة ٢١
التعامل من موقع العفو والصفح ٢١
وظلم العباد من محاربة الله تعالى ٢٢
والله تعالى يخاصم من يظلم عباده ٢٣
النهي عن الاستعلاء على الناس ٢٣
عندما تتعارض العلاقات الثلاثة ٢٥
العامة والخاصة ٢٧
خصائص الخاصة ٣١
خصائص العامة ٣٢
إيثار العامة على الخاصة ٣٢

الفصل الثاني
في الاعمال الادارية التي أقامها
أمير المؤمنين عليه السلام في فترة حكومته

التراث الإداري في حكومة الإمام علي عليه السلام ٣٥
أولاً: السياسة الإدارية ٣٦
١ - عزل عمال عثمان ٣٦
٢ - استرداد أموال بيت المال ٣٨
٣ - الالتزام بالقانون ٣٨
٤ - عزل من ثبتت خيانته من العمّال ومحاسبتهم ٣٩

٥- نهي العمال عن أخذ الهديّة ٤١
٦- اختيار العيون لمراقبة العمال ٤٢
ثانياً: السياسة الاقتصادية ٤٣
١- مراقبة السوق ٤٣
٢- التسامح في جباية الخراج ٤٥
٣- عدم التأخير في توزيع أموال العامة ٤٦
٤- التوزيع بالسويّة ٤٧
ثالثا: السياسة الأمنية ٤٨
١- الاستخبارات الأمنية ٤٨
٢- إجلاء المتآمرين أو حبسهم ٤٩
رابعاً: السياسة العسكرية ٤٩
١- تنظيم الجيش ٥٠
٢- تأسيس القوات الخاصة ٥١
٣- الحرب خدعة ٥٣
٤- المسالمة من دون وهن ٥٣

الفصل الثالث

في مجموعة من المفردات القيادية والثقافية

من خلال الكتاب والسنة وكلمات أمير المؤمنين عليه السلام

دروس عن مفردات الثقافة الإدارية والقيادية في الإسلام ٥٧

١ - ٢- القرار بين التوكل والتفويض والاستشارة ٥٧
٣- ٤ ـ الذكر والتقوى ٦٣
التقوى حصن منيع للمؤمنين ٦٦
والتقوى بصيرة وتذكر ٦٧
٥- القرار ٦٩
٦- الحسم والقطع بعد الحزم ٧٢
٧- المؤمن بين الفطنة والتغافل ٧٥
٨- القرار والموقف بين المرونة والحدية ٨٢
٩- الانضباط الأمني والسياسي ٨٤
١٠- الاتزان والوقار وضبط الأعصاب في الأزمات ٩١
١١- ترك الإنسان ما لا يعنيه ٩٣
الإدارة اختصاص، واعتناء ٩٣
افتعال الأحداث ٩٥
١٢- التنظيم والتخطيط ٩٥
١٣- سعة الصدر ٩٨
١٤- إضاعة المسؤولية ١٠١
١٥- إضاعة الفرصة ١٠٢
١٦- الأناة ١٠٤
١٧- المؤمن لا تقهره المصائب ١٠٦
١٨- البشاشة والبشر ١٠٨

١٩- الرأي بين التسرع والعجب ١٠٩
٢٠- دور الزمان في الإدارة الصالحة ١١١
٢١- مبدأ توزيع المسؤوليات ١٢٠
٢٢- معايير الاختيار الصحيح ١٢١
٢٣- الاهتمامات الكبيرة والهمم العالية ١٢٥
٢٤- بين المسؤولية والرعاية ١٢٦
الفهرس ١٢٩

***

انّ القرآن الكريم وكتاب نهج البلاغة يشكلان هوية الإنسان المسلم ، و هما مصداق كلام النبي (ص) في التمسك بالثقلين . فالقرآن هو الثقل الأول، ونهج البلاغة هو التجسد الأتم للثقل الثاني أعني العترة. ولو تدبرنا في هذا الكتاب ـ بعد تدبرنا في القرآن الكريم ـ حق التدبّر ، لرأينا انّه يحتوي على خير الدنيا والآخرة ، وجدير به أن يكون منهاجاً لحياة البشرية، وطريقاً نحو السعادة الأبدية.

إنّ سلسلة (في رحاب نهج البلاغة) التي تصدرها مكتبة الروضة الحيدرية في النجف الأشرف ، محاولة متواضعة لإظهار هذه الحقيقة ، حيث تهدف إلى وضع دراسات مختصرة عن هذا السفر القيم، تتناول شرح خطبة أو كتاب أو حكمة وردت في هذا الكتاب، أو دراسة موضوع معيّن، أو دفع شبهة مثارة ، كلّ ذلك لتعميم الفائدة ، وتسهيل الوصول إلى لآلئ هذا السفر القيم...

الثَّقَافَةُ القِيَادِيَّةُ وَالإِدَارِيَّة
عِنْدَ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِب

يسلط الضوء على ما ورد في كلمات الإمام (عليه السلام) وسيرته الحكومية حول موضوع القيادة وإدارة المجتمع، ويعطي صورة ناصعة عن تلك المفاهيم لتنير الدرب أمام القادة وساسة البلاد باتخاذ النهج الصحيح في سلوكهم السياسي والإداري..

موقع العتبة العلوية المقدسة : www.imamali-a.com

موقع مكتبة الروضة الحيدرية : www.haydarya.com

رقم الاصدار (٧٩)